

الامال الكبرى

تشارلز ديكنز



المؤلف

ولد تشارلس ديكنز في إنجلترا عام ١٨١٢ ، وكان ثاني لثانية أبناء لأب يعمل كاتباً حكومياً ، وهي وظيفة متواضعة . ونظراً للفقر الذي كانت تعانيه أسرته . فقد ألحق تشارلس بأحد المصانع في لندن ليساعد في إعالة الأسرة ، وكان عمره آنئذ لا يتجاوز العاشرة . وكانت هذه التجربة شديدة الأثر في نفسه ، وترك انطباعات عميقة ظهر في العديد من الروايات التي كتبها تشارلس عن أبطال صغار عانوا الكثير من الوحدة والعذاب .

وبسبب ميراث ضئيل هبط على الأسرة بطريقة
غير متوقعة ، سمح لتشارلس أن يعود الى المدرسة
وأن يترك العمل فى عبودية المصانع .

كذلك فقد استطاع تشارلس أن يعمل مراسلا
لإحدى الجرائد ، وهو عمل أتاح له التامل فى أحوال
الناس ، وخرج منه بتجربة مكنته من تأليف العديد
من القصص والمشاهد التى تركت - ومازالت تترك
أثرا لا يمحو فى ذاكرة قرائه .

وكان تشارلس ديكنز فى الرابعة والعشرين من
عمره ، عندما أصدر أولى رواياته « مذكرات بيكويك »
سنة ١٨٣٦/١٨٣٧ . وأصبح بذلك من أكثر الكتاب
الانجليز شعبية وشهرة . وقد ازدادت هذه الشعبية
واتسع نطاقها عندما صدرت رواياته الأخرى تباعا .
دافيد كوبرفيلد . أوليفر تويست . أغنية عيد
الميلاد . قصة مدينتين . الأمل الكبرى .

ومثل العديد من رواياته ، كانت رواة
« الأمل الكبرى » تدور حول الأثر الطبى الذى قد

تركه النقود في نفوس الناس . وقد ظهرت هذه الرواية أولا كحلقات مسلسلته نشرت في احدى المجلات الاسبوعية . وفي هذه الحلقات كان بطل الرواية الرئيسي « بيب » يحكى قصة حياته منذ كان في السابعة من عمره حتى أصبح شابا يافعا . ويشرح التحولات العميقة التي طرأت في حياته . وحولته من انسان أناني يملؤه الغرور ، الى انسان طيب يتعاطف مع الآخرين .

وقضى تشارلس ديكنز معظم حياته في الكتابة والتأليف والعطاء المحاضرات التي يتناول فيها موضوعات رواياته . وفي الدعوة الى تدعيم « المؤسسات الخيرية » التي ترعى الفقراء من الناس . وظل مثابرا على ذلك حتى وفاته في عام ١٨٧٠ .



بیب یزود قبر والدیه

الفصل الأول

مقابلة بين المقابر

عشت معظم السنوات الأولى من حياتي في مقاطعة
« كنت » ٠٠ ومع ذلك فإن مستنقعاتها الموحشة
ما زالت تخيفني حتى الآن ٠٠ فقد كنت أتخيل وجود
أشباح تتلاعب في أطباق الضباب الكثيف ، كما
أتخيل سماع أصوات غريبة صادرة من تدفق المياه
في مجرى النهر المجاور ٠

وعندما كنت في السابعة من عمري ٠٠ وفي
« عشية عيد الميلاد » ٠٠ ذهبت لزيارة قبر أبي وأمي



من فضلك يا سيلي ... لا تقتلني

الذى يقع بساحة واسعة ملحقة بالكنيسة ... وفى مكان يطل على مستنقعات موحشة ..

فى الحقيقة لم أشاهد أبى ولا أمى مطلقا .. ولكنى أستطيع قراءة اسميهما المكتوبين على شاهد القبر : « فيليب » و « جورجيانا بيروب » .. « فيليب » كان اسم أبى واسمى أنا أيضا .. ولكن عندما كنت أنعلم النطق فى طفولتى المبكرة ، كنت لا أستطيع نطق هذا الاسم نطقا صحيحا .. وأنا كنت أنطقه هكذا : « بيب » .. وهو الاسم الذى ظل يطلق على طوال حياتى .

وفى أثناء تلك الزيارة لقبر والدى ، حاولت أن أتذكر أى شئ عنهما فلم أستطع .. لذلك فقد انهمرت الدموع من عينى وبدأت فى البكاء .. وعلى حين فجأة سمعت صغوتا خفيفا مرعبا يصيح بى : اسكت .. توقف عن هذا الضجيج والا قطعتم رقبتك !

وظهر أمامى رجل عملاق خرج من بين المقابر ، وأمسكنى من ذقنى بقبضته الحديدية .. كان يرتدى ملابس خشنة رمادية اللون .. ويحيط بقدمه

طوق حديدي .. كانه ملايسه مبتلة ويرتمش جسمه
الملطخ بالطين من شدة البرد .. وأخذ يحلق في
بمينين يتطاير منها الشرر .. فقلت له وأنا أرتجف
من شدة الرعب : أتوسل اليك ياسيدي .. لا تقتلني
.. أرجوك .. ١

وسألتني الرجل : ما اسمك ؟ .. أجب بسرعة
.. وأين تعيش .. ومن هم أهلك .. ١٩

فقلت على الفور : اسمي « ييب » .. والداي
مدفونان في هذه القبور .. وأنا أعيش مع أختي
« مسز جو جارجرى » وزوجها الحداد الذي يعمل في
هذه القرية .

فقال الرجل وهو ينظر الى القيد الحديدي
المربوط بقدمه : هه .. حداد ؟ ١٩

وفى لمح البصر ، أمسكنى بقوة ، وقلبنى رأسا
على عقب ، وأفرغ كل ما في جيوبى .. ولم يكن معي
سوى بعض المسامير وكسرة صغيرة من الخبز ..
ثم أجلسنى على شاهد حجرى لأحد المقابر .. وأخذ

يلتهم كسرة الخبز ويتلهمها فى نهم شديد ٠٠ وبعد
أن انتهى من ذلك ، هزنى بقوة وقال : والآن أيها الوغد
الصغير ٠٠ هل تعرف « المبرد » الحديدى ٠٠ ؟

فاومأت اليه برأسى موافقا ، لأنى كنت عاجزا
عن الكلام من شدة الرعب ٠٠ وقال : اذن عليك
باحضار مبرد حديدى ٠٠ واحضار بعض الطعام ٠٠
عليك باحضارهما الى هنا فى صباح الغد ٠٠ فاهم ؟!

واخذت ابلغ ريقى بصعوبة ٠٠ وقلت له
وانا آلهت : حاضر يا سيدى ٠٠ !!

- واياك ان تخبر احدا بذلك ٠٠ والا لقتلناك
فورا ٠٠ فانا اعرف صديقا لى يهوى قتل الأولاد
وتمزيق قلوبهم ٠٠ فقد تظن أنك ستكون آمنا وتنام
فى سريرك مطمئنا ٠٠ ولكن صديقى هذا قادر على
التسلل الى غرفة نومك الدافئة ليقتلك فى لحظة ٠٠
تذكر هذا جيدا ٠٠ هيا ٠٠ انصرف الآن ٠٠ !

واومأت برأسى اليه موافقا على كل ما قاله ٠٠
وقفزت على الفور وأنا لا اصدق نجائى ٠٠ واخذت



يبب يتلقى الأوامر

اجرى بأقصى سرعة فى اتجاه البيت .. وكان قلبى
يدق عالياً لدرجة انى كنت أسمع دقاته ..

ولكن فى البيت كانت تنتظرنى متاعب أخرى
فبينما كنت أتسلل على أطراف قدمى متجها الى المطبخ،
شاهدنى زوج أختى الحداد « جو » فهز رأسه الأشقر
وسألنى : أين كنت يا « بيب » .. أن اختك قد خرجت
للمبحث هناك .. !

وفى هذه اللحظة ، انفتح الباب بعنف ودخلت
أختى وهى فى قمة الغضب .. كانت أختى « مسز جو »
تكبرنى بنحو عشرين سنة ، وكانت حادة الطباع
جداً .. وبدون أن تنطق كلمة واحدة ، انقضت على
وضربتنى على رأسى ، وقذفت بى نحو زوجها .. ولكن
« جو » العملاق وقف حائلاً بينى وبينها .. وجاولت
هى أن تراوغ زوجها العملاق لكى تمسكنى ، ولكنى
تسترت خلفه ، وظللت أراوغها بمساعدة « جو » ..
الى أن تعبت وكفت عن ملاحقتى ..

وبعد أن انتهى هذا الخطر الداهم .. ابتسم



جو ڀلائيءَ جي بيب

« جو » وصحبني الى مكان دافئ قرب المدفأة .
ومن هناك كنت أسمع قرقرة الأواني والأطباق التي
تسلسلها أختي في المطبخ .. ثم سمعت صوت
« طلقة نارية » يأتي من بعيد .. فقلت هامسا :
ما هذا الصوت يا « جو » ؟ ..

فقال « جو » وهو يشرح لي الأمر : هذه طلقة
تحذير .. تطلقها سفن السجن وهي تعبر النهر ..
للتحذير من سجين هارب .. وهذه هي الطلقة الثانية
للدلالة على أن سجيننا آخر قد هرب .. أما الطلقة
الأولى فكانت في الليلة الماضية لتحذيرنا من أن لصا
أو قاتلا قد استطاع الفرار .

كنت أرتمد وأنا أسمع ما قاله « جو » ..
ودقت أختي على المائدة بنفاذ صبر وهي تدعونا الى
تناول العشاء .. وأخذت تضع الزبد على الخبز
وناولت كل واحد منا نصيبه .. وبالرغم من أن « جو »
هو الذي يمدنا بالخبز والزبد ، إلا أن طبيعته الطيبة
كانت تجعله يتقبل مثل هذه المعاملة من أختي التي
كانت تعامله - مثل - مُعاملة الأطفال ..



بيب يغني الخبز للسجين

وبينما اتهمكت أختى فى الحديث عن استعداداتها
لحفلة عيد الميلاد ، فى اليوم التالى ، وضعت نصيبى
من الخبر بجيبى ٠٠ وقلت فى نفسى : اذا لم أجد
شيئا آخر فى المطبخ . فلا أقل من احتفظ بهذا الخبز
للسجين الهارب الذى ينتظرنى ٠٠

وكانت أختى لا تسمح لى بأن أضى شسعة وأنا
فى طريقى إلى الصمود إلى غرفتى العلوية ٠٠ لذلك
فقد ازددت خوفا فى تلك الليلة وأنا أصعد درجات
السلم ٠٠ وخيل لى أنى أنا أيضا سأكون سببا لأن
تطلق سفينة السجن طلقاتها بعدما ارتكب سرقة بعض
الطعام من المطبخ أو من غرفة الخزين ٠

وعندما رقدت على سريرى ٠٠ أخذت أتخيل
ان سجيننا صغيرا يقبع بجوار السرير متربصا بى
ومستعدا لتمزيق قلبى ٠٠ ولهذا فقد احتفظت فى
يدى بقطعة الخبز التى خبأتها لى أريها له فلا يقتلنى
٠٠ وظللت على تلك الحال طول الليل ٠٠ ولكر
السجين لم يظهر رغم توقى لظهوره فى أية لحظة ٠٠
ولم أستطع النوم أو يغمض لى جفن ٠٠



الحصول على المزيد من الطعام

وفي المجر عند ظهور أول خيط من ضوء
النهار ، تسلمت هابطا درجات السلم ، وكان وقع
خطواتي على الأرض يكاد يصيح ضلي : أمسك حرامي

وبمناسبة العيد ، فقد وجدت بالمطبخ وبسفرة
الخزين طعاما أكثر مما كنت أتوقع .. ولذلك فقد
اخلت مزيدا من الخبز ، وقطعة كبيرة من الجبن ،
وفطيرة كبيرة محشوة باللحم .. وبعض البراندي ،
الذي أفرغته في زجاجة فارغة ، وأضفت قدرا من الماء
إلى الزجاجة الأصلية حتى لا يحس أحد ما سرقته
منها .. وقد جرؤت على أخذ فطيرة اللحم لأنني رأيتها
موضوعة على الرف الخلفي ، فاعتقدت أن أختي لاتنوى
تقديمها إلينا في وقت قريب ..

وكان بالمطبخ باب يؤدي إلى ورشة الحدادة
الخاصة بزوج أختي ، فتسللت إليها ، واخترت
« مبردا » تقبلا من الأدوات التي يستعملها « جو » ..
وشبابات جميع هذه الأشياء داخل معطفي ، ثم أسرعت
أخذًا طريقى إلى المستنقعات التي تقطعها شجيرة
الصباح ..



السجين الهارب الثاني ..

الفصل الثاني

السجين الثاني

كانت لم تزل هناك مسافة طويلة حتى أصل
الى الحائط المهدم الذى أتوقع أن السجين الذى
ينتظرنى يختبئ خلفه ٠٠ ولكنى رأيته فجأة أمامى ٠٠
رأيت من ظهره وهو جالس على حجر ، ويبدو نائما .
واقتربت منه على حذر ، ثم أربت على كتفه لانبه .
فهب واقفا على الفور واستدار الى ٠٠ ولكنه لم يكر
نفس الرجل ٠٠ كان رجلا آخر ٠٠

كان يرتدى أيضا ملابس خشنة ومادية اللون ٠٠
وفى قدمه قيد حديدى ٠٠ ولكن ملامحه كانت



السجين الجائع يأكل بشرامة

مختلفة ٠٠ التفت الى الرجل ، وهوى بيده لضربني
على رأسي ، ولكنني تحاشيت الضربة بسهولة ، لأنها
كانت ضربة ضعيفة تدل على أن الرجل مريض ويعاني
من شدة البرد ٠٠ وفجأة أخذ يفر من أمامي ، واختفى
في الضباب الكثيف ٠٠ وكنت على يقين بأن هذا
الرجل هو صديق الرجل الآخر ٠٠ وهو الذي يمزق
قلوب الأطفال ٠٠

وعندما وصلت الى الحائط المهدم ، وجدت
نفس الرجل الذي شاهدته بالأمس ٠٠ كان يتنطط ،
على الأرض بنشاط حتى يدفع جسمه ، ودون أن
انطق بكلمة ، أخرجت البرد والطعام من داخل معطفي ،
فأنتسعت عيني معبرا عن سروره ، ومد يده المرتجفة
وبدا يلتهم الطعام بنهم ٠٠ وعندما أخرجت الزجاجاة
وقدمتها اليه سال مستفسرا : ماذا أحضرت لي في هذه
الزجاجاة يا ولد ؟ ٠٠

فأجبت : هذا بعض « البراندي » يا سيدي ٠٠
لعله يساعده على التغلب على برودة المستنقعات .



لقد رأيته هناك

فخطف الزجاجة من يدي فوراً ، وشرب أكثر
كمية ممكنة ، ثم مسح فمه بظهر يده وقال : فكرة
جيدة تدل على ذكائك .. هاه .. هل أخبرت أحداً ؟
فاجبت : لا ياسيدي .. لم أخبر أحدا .. لقد
سرقته لك هذا الطعام ..

فاوما برأسه راضياً .. وأخذ يقضم قطعة كبيرة
من فطيرة اللحم حتى كاد أن يقضى على الفطيرة
بأكملها .. فقلت له : اني مسرور ياسيدي لأن الفطيرة
أعجبتك .. ولكن .. ألن تحتفظ لصديقك ببعض
منها .. ؟

**فقال بخبث ودهاء : تقصد صديقي الذي يمزق
نلوب الأطفال ؟**

**وأخذ يضحك وهو يقول : لا .. انه ليس في
حاجة الى الطعام ..**

**فقلت على الفور : لا . اعتقد ذلك ياسيدي .. فهو يبدو
جانحاً وفي حاجة ماسة الى الطعام ..**



واخذ يبرد القيد الحديدى

عندئذ هب الرجل واقفا ، وأمسكني بكلتا يديه
من ياقة ممطى وسألنى بلهفة : تقول انه و يبدو !
.. هل رأيته .. أين .. ومتى .. ؟

فاجبت بسرعة وأنا أشير الى الاتجاه ، الذى اختفى
فيه الرجل الثانى : انه هناك ياسيدى .. 1 يرتدى
مثل ملابسك .. وفى قدمه قيد حديدي .. لقد أطلق
سقينة السجن طلقة بالامس لتحذر الناس منه ..
الم تسع هذه الطلقة ؟

- ربما سمعتها .. وربما لم أسمعها .. ان
البقاء وحيدة فى مثل هذه المستنقعات ، شئ يدير
الرأس .. ما شكل ملامحه ؟ .. صفه لى .. !

واستعلت على الفور منظر السجين الثانى ..
بلامح وجهه المعبرة عن الخوف والفرع ، وقلت :
رأيت كدمة على خده .. !

وعندئذ شعر بشئ من الارتياح وقال لى : انه
هو بالفعل .. سوف اصطاده كما تصاد الكلاب ..
ولكن أين المبرد .. اعطنى المبرد يا ولد ..

وكان المبرد قد سقط على الأرض حين كان الرجل
يتناول لفة الطعام .. فالتقطته وقدمته إليه .. وفي
لمح البصر ، انحنى الرجل وركع على العشب المبتل ،
وبدا يبرد القيد الحديدي المتلف حول قدمه .. يبرد
بهمة وچنون ..

ورأيت أن أنصرف .. فتراجعت بظهوري الى
الخلف عدة خطوات وأنا أنظر إليه .. ولكنه لم يهتم
بى إطلاقا لشغفه انهماكه فى برادة القيد الحديدي ..
وعندئذ استعدت وبدأت أجرى تجاه البيت .. وبالرغم
من انى ابتعدت كثيرا عن مكان الرجل .. الا انى
مازلت أسمع .. يبرد .. ويبرد .. ويبرد .. !

وفي البيت ، كانت أختى منهمكة فى أعمالها
المنزلية .. تروح وتغدو كالدوامة هنا وهناك ..
تعلق الستائر النظيفة البيضاء .. وترفع الأغطية عن
الأثاث بفرقة الجلوس .. وكانت هذه الفرفرة
لا تستعمل الا فى المناسبات الخاصة ، وبالطبع فان
الاحتفال « بعيد الميلاد » كان أهم هذه المناسبات ..
وتناولت أنا و « جو » طعام الإفطار ونهـ

واقفين ، لأن أختي لم تجد وقتا كافيا لتقديم الإفطار
على المائدة .. كانت منهكة بالفعل في إعداد الطعام
للضيوف المتوقع حضورهم في أية لحظة ..

وفجأة ، أحسست وكأن قلبي قد توقف عن
النبض .. هل كانت فطيرة اللحم معدة اذن للاحتفال
بالعيد ؟ .. لقد شعرت بالفزع من تلك الفكرة المخيفة
وتناجها .. وظل هذا الاحساس يلزمني حتى حين
استدعنتى أختي وأخذت تفسل لي وجهي ورأسي ،
ثم البستني أنظف ما لدى من ملابس ..

وكذلك ارتدي « جو » أنظف ملابسه .. وجلسنا
معا في حجرة الجلوس .. في انتظار الضيوف .. وعند
أول طرفة على الباب الخارجي للبيت ، قمت وفتحت
الباب لأول هؤلاء الضيوف .. « مستر وويسل »
كاتب الكنيسة .. ثم حضر بعده صانع المجلات
وزوجته « مستر ومسر هابل » ..

وأخيرا وصل عمي « مستر بامبلشوك » بعربته
الصغيرة .. الحقيقة أن هذا الرجل هو عم « جو » ..



احتفال غير مريح بعيد الميلاد

ولكن أختي اعتبرته عما لها أيضا ، لأنه كان تاجر الحبوب بالمدينة ويتمتع ببعض الثراء .. واستقبلته أختي بحفاوة بالغه .. وقا: الرجل يزهو واقتنار : « مسز جو » .. لقد أحضرت لك هدية طيبة .. نبيذا فآخرا من أحسن الأنواع ..

تمتع الجميع بتناول الطعام فيما عداى .. فقد كنت ممنوعا من الكلام بأمر من أختي .. رغم أن معظم الحديث كان يدور عني .. وعن المناعب الكثيرة التي أسببها لأختي المسكينة .. ولم تسمح أختي لزوجها « جو » أن يدافع عني .. وطلبت منه أن يوافق على كل أقوالها .. ويبدو أن « جو » كان يود أن يعتذر لي بصمت .. ووضعت لي كمية كبيرة من الصلصة على قطعة اللحم الخاصة بي .

ثم بدأ يحدث ما كنت أخشاه وأتوقعه .. عندما قالت أختي بفرح : يا عمى « باهبلشوك » .. لقد أعددت لك مفاجأة تحبها .. فطيرة محشوة باللحم .. !

وفي الحال ، صفق الجميع لهذا ، التنا السعيد



لقد اختلعت الفطيرة !

٠٠ وبدأ الضيوف يفتحون شهيتهم استعدادا لتلك
الفطيرة ٠٠ وسمعت كل حركات أخني وهي تبحث عن
الفطيرة في كل مكان ٠ وتخيلت ما سوف يحدث ٠٠
حين عادت أختي خالية اليدين وهي تقول : يا الهى ٠٠
لا أعرف ماذا حدث ٠٠ لقد اختفت الفطيرة !
ولم أستطع الصمود أكثر من ذلك ، فقامت
واقفا ، واندفعت الى الباب لأهرب ٠٠ وما كدت أفتح
الباب حتى صدمت بمنظر لم أتوقعه ٠٠ رأيت
مجموعة من جنود الشرطة ، وكان قائدهم يمسك في
يده بقيدين حديدين ، رفعهما أمام وجهي وهو يقول .
يا فتى ٠٠ 11



جنود الشرطة يطلبون المساعدة

الفصل الثالث

القبض ٠٠ والاعتراف ٠٠!

تلعثمت ٠٠ وتمثرت خطواتي وأنا أنراجع الى
الخلف ٠٠ اذن ٠٠ لقد عرفوا اني لص ٠٠ وجاءوا
للقبض على ٠٠ وأمسكني « جو » من ذراعي قبل أن
أهوى الى الأرض ٠٠

وعندئذ فقط ، انقسم لي قائد الشرطة ، وقال
برقة وهو ينظر الى الجميع : معذرة سيداتي وسادتي
٠٠ اننا « جاويزش » في خدمة الملك ٠٠ وقد كلمت



جو يقوم باصلاح القيود الحديدية

انا ورجالى بالقبض على السجناء الهاربين .. ونحن
فى حاجة عاجلة الى خدمة من الحداد ..

فقالت اختى قبل أن ينطق « جو » بكلمة :

هذا هو الحداد .. ماذا تريدون منه فى يوم
الاحتفال بعيد الميلاد ؟ ..

– نريد اصلاح هذه القيود الحديدية لأن قفلها
لا يعمل .. ونحن فى حاجة شديدة اليها ..

أشارت أختى لزوجها لكى يمدى رايه ..
فأمسك بتلك القيود الحديدية وفحصها وقال : لا بد
من اشعال فرن الحدادة .. واصلاحها قد يستغرق
ساعة كاملة ..

فوافق قائد الشرطة وقال : لا بأس .. فسوف
نستطيع القبض على الهاربين قبل حلول لظلام ..
وعلىنا اذن اشعال الفرن ! ..

ودخل جميع رجال الشرطة الى البيت ، ووضعوا
أسلحتهم فى وكن من الحجيرة .. وارتدى « جو »



مطاردة السجينين الهاربين ..

مريئته الجلدية استعدادا للعمل ، وذهب الى الورشة
وتبعه جميع الجنود - ما عدا قائدهم - لمساعدته
في اتمام العمل بسرعة .

وقام العم « بامبلشوك » بدعوة الجاويش الى
الجلوس معنا حول المائدة . . . وصب له كأسا من النبيذ
الذى أحضره معه كهدية . . . وفي لحظات عاد الاحتفال
الى بهجته من جديد . . . بينما كانت تسمع من بعيد
دقات مطرقة « جو » وهو يثق بها على السندان .
وبعد أن انتهى « جو » من اصلاح القيود

الحديدية ، سمح لنا قائد الشرطة بأن نصحبه
لمشاهدة عملية القبض على السجناء الهاربين . . . ولم
يوافق على ذلك سوى « مستر ووبسل » و « جو » .
كما سمحت لى أختى بأن أخرج فى صحبتيهما ، ولكن
بعد أن حذرت « جو » بصوت مسموع : اذا عدت
ورأس الولد مقطوعة ، فلا تنتظر منى أن أعيدها الى
مكانها الصحيح . . . !



القبض على السجنين ١٠٠

وذهبنا جميعا الى ساحة المقابر خلف الكنيسة
٠٠ نفس المكان الذى قابلت فيه السجين الأول ٠٠
وبينما كان الجنود يبحثون ويقتشون المكان ٠٠ بدأت
أشعر بالخوف ٠٠ فربما ظن السجين الهارب انى
خدعته ٠٠ وانى ابلغت عنه رجال الشرطة ٠٠ وحضرت
مهم لأرشدهم الى هذا المكان ٠٠ ولكن عندما لم يعثر
الجنود على أحد ، تحركنا من جديد فى اتجاه آخر ٠٠
وبدأ يسقط علينا مطر شبه متجدد ٠٠ ولكن
على حين فجأة سمعنا صرخة عالية تاتى من بعيد ٠٠
فاشار الجاويش لرجاله بالتقدم نحو المكان الذى
صدرت منه هذه الصرخة ٠٠ وأخذ الجميع يحرون
بخطوات سريعة واسعة فلم استطع اللحاق بهم ،
فحملنى « جو » على كتفه وأخذ يجرى مع الرجال الى
ان اقتربنا من حفرة واسعة يتناثر منها الماء والطين
وسمعنا الجاويش يصرخ بقوة : سلما نفسيكما ! ٠٠
انت وهو ٠٠ !

ووقف الجنود حول الحفرة وهم يصوبون
بنادقهم نحو السجينين اللذين كانا منهكين فى عراق



لقد سرقت بعض الطعام والبراندى

شديد ، ولم ينفذا الأمر الصادر اليهما بالتسليم ..
لذلك فقد نزل الجنود الى الحفرة ، وقبضوا على
السجينين وهما في حالة رثة ويلهتان من شدة
التعب .. وصاح السجين الأول غاضبا وهم يضعون
يديه في القيود الحديدية : تذكروا جيذا .. أنا الذى
قبضت عليه .. لقد قبضت عليه من أجلكم .. !

أما السجين الثانى فقد كان يعانى من شدة
ما ناله من الضرب ، ويكاد يهوى الى الأرض غير قادر
على الوقوف دون مساعدة ، وتلثم وهو يقول مشبرا
الى السجين الأول : لقد حاول أن يقتلنى .. !

وقال السجين الأول على الفور : أنا لم أحاول
قتله ، والا لنجحت فى ذلك بسهولة .. لقد حرصت
على القبض عليه حيا لأسلمه لكم .. انظر يا سيدى
الجوايش .. لیس فى قدمى قيد حديدى .. وكان
يمكننى أن أذهب الى حال سبيل .. ولكن عندما عرفت
' ه هرب .. طارده حتى لحقت به ' ، ومنعته من
الهرب ..

وعندئذ صاح به الجاويش أمرا : كفى !!

وأشعلت بعض المشاعل كما أطلقت البنساق
كإشارة إلى سفينة السجن لكي ترسل قاربا إلى هذا
المكان .. وعلى ضوء المشاعل لمحنى السجن الأول ..
ونظرت إليه مواسبا ، وحركت يدي حركة خفيفة
وهزئت رأسي له كإشارة مني بأنني لست مسئولا عن
احضار هؤلاء الشرطة للقبض عليه .. وحلق في
عيني لحظة ، كما لو كان يريد أن يتبين مدى
صدقى ..

ومشينا جميعا تجاه شاطئ النهر ، حيث وصل
القارب لأخذ الجنود والسجينين إلى السفينة .. وقبل
أن يضع السجن الأول قدمه في هذا القارب ، التففت
إلى الجاويش وقال بصوت عال سمعه الجميع : أريد
أن أقول شيئا .. لقد سرق بعض الطعام وبعض
البراندى من بيت حداد القرية .. لقد سرقنا فطيرة
محتشوة باللحم ..

فقال « جو » على الفور : آه .. هذا هو لسبب
فى أن زوجتى لم تعثر على الفطيرة .. ولكننا مع ذلك

لانيخل بطعامنا على شخص جائع .. اليس كذلك
يا « ييب » ؟ ١٩

فاومات براسي موافقا لاني كنت عاجزا عن
الكلام .. وابتعته القارب بحمولته متوجها الى سفينة
السجن .. اما نحن فقد اتجهنا الى البيت ..



بیب يعمل مع جو في ورشة الحدادة

الفصل الرابع

دعوة من الأئمة هافيشام

كان « جو » أميا لا يعرف القراءة أو الكتابة .
بينما حصلت أنا على قدر بسيط من التعليم .. ولكن
نظرا لأنهم كانوا يعدوننى لكى أصبح عبيا مساعدا
لجو . فى أعمال الحدادة . فقد اكتفوا بهذا القدر
من تعليمى ..

كنت لا أرغب فى شئ أكثر من أن أصبح حدادا
أساعد « جو » فى أعمال الورشة .. لقد كنت أحب



العم بامبلشوك يقول اخباره

« جو » حيا جما وكان هو ايضا يبادلنى هذا الحب
ويعطف على كثيرا .. وكان يدافع عنى باستمرار
وبقدر ما يستطيع ضد الضربات القاسية التى كانت
توجهها الى أختى ، ويحمينى من طبايعها الحادة ..
وكان تدخله هذا لا يعفيه من تلقى بعض الضربات
نيابة عنى ، كما كانت أختى توبخنا نحن الاثنين معا ،
وفى وقت واحد ..

وبعد انقضاء أيام قليلة بعد حمل « عيد الميلاد »
حدث تغير كبير فى حياتى .. فقد جاء العم
« فاميلشوك » فى أحد الأيام وقال ان الأنسة
« هانيسام » تدعونى إليها لألعب فى بيتها .. وهى
امرأة عجوز واسعة الثراء ، تعيش حياة كئيبة فى بيت
كبير مهمل ..

ولم أكن قد رأيت هذه السيدة العجوز من قبل،
ولكنى سمعت عنها كثيرا .. وكنت أعرف انها تعيش
وحيدة منعزلة ، وان بيتها مفلق دائسا بالمتاريس

خوفا من سطو النصارى ٠٠ والآن معامى السيدة
الغريبة لدعوتى لكى « اللعب » فى بيتها ٠٠

وقال « جو » مندهشاً : ولكن ٠٠ كيف توصلت
هذه السيدة الى معرفة « بيب » ٠٠ ؟

فصاحت فيه أختى : يا ساذج ٠٠ من قال لك
انها تعرفه ٠٠ ؟

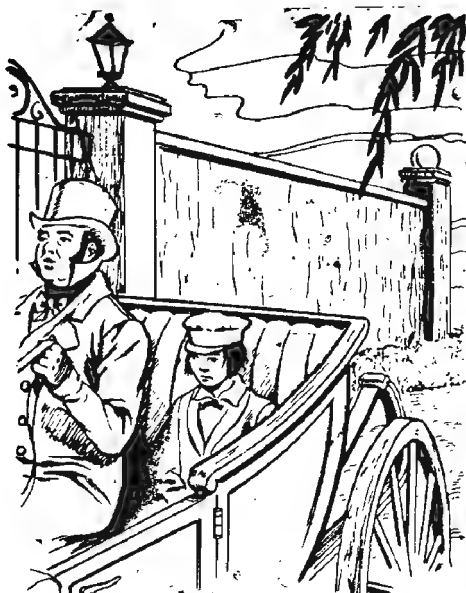
ثم ابتسمت الى العم « بامبلشوك » وقالت :
ان عمك يستأجر بعض أهلاكها ٠٠ وعندما كان يدفع
لها الإيجار فى يوم ما ، سألته السيدة اذا كان يعرف
صبياً لتدعوه لكى يحضر ويلعب أمامها ٠٠ ولأن عمك
طيب القلب ، فقد اقترح عليها دعوة هذا الولد لحسن
حظه ٠٠ والآن ٠٠ ابعد عن طريقه، كى أتولى تنظيفه
واعداه لتلبية هذه الدعوة ٠٠

وعلى الفور أمسكتنى أختى وأخذت تغسل جسمى
بالماء والصابون ، ثم جففتنى والبستى ملابس داخلية
جديدة وأحسن مالى من ملابس الخروج ٠٠ وأثناء

ذلك لم تكف أختي ولا العم « بامبلشوك » عن تبادل الأحلام بصوت عال .. وقالت أختي متمنية : اوه .. لينتي كنت ولدا صغيرا لتدعوني هذه السيدة الثري .. ربما ستعود هذه الدعة بالنفع عليه .. بل ستعود بالنفع علينا جميعا ..

وكان العم « بامبلشوك » يهز رأسه موافقا برفاء وهو يقول : لاشك في ذلك .. لاشك في ذلك .. لقد بدأ الحظ ينقسم له منذ الآن ..

وما هي الا لحظات حتى وضعوني في عرب العم « بامبلشوك » التي ستأخذني الى حيث ألعب .. ولم أجسر على السؤال .. لماذا ألعب .. وما هو سر هذا اللعب .. ثم وقفت العربية أمام بيت كتيب درخش مبني بالطوب .. وله سور يحيط به من كل جانب . وبوابة مغلقة بالمتاريس ، ونوافذ كبيرة مغلقة بحوائط مبنية بالطوب وتحيط بها قضبان حديدية .. ودن العم بجرس الباب ، فانفتحت إحدى النوافذ وجاء منها صوت واضح : ما اسك ؟



الوصول الى بوابة بيت الانسة هافشام

- اسمي ، بامبلشوك ، وجئت لأسلم الصبي

« بيب » ..

أغلقت النافذة على الفور .. وبعد لحظات قليلة
ظهرت في القناء الخارجي صبية صغيرة جميلة ،
واتجهت الى البوابة وهي تمسك ببعض المفاتيح ..

كانت الفتاة في مثل سنّي تقريباً ، ولكنها كانت
تبدو أكبر من عمرها الحقيقي بسبب تكبرها الشديد
والطريقة المتفطّنة التي تحرك بها رأسها وكتفها ..
ودون أن تنظر الى ، **قالت لي** : ادخل يا « بيب » ..
وشرعت على الفور في غلق البوابة قبل أن يدخل
العم « بامبلشوك » في صحبتي .. ونظرت اليه الفتاة
شدداً وهي تفلق البوابة في وجهه **وقالت له بكثير من**
التعالي : هل كنت تريد مقابلة الأنسة « هافيشام » ؟
فقال العم وهو يشعر بكثير من العرج : اذا
كانت الأنسة « هافيشام » تريد مقابلتي ..
فقالت الفتاة عندئذ : آه .. هي لا تريد
مقابلتك ..



ستلا تغلق البوابة ..

وبعد ان تركت العم وهو يعبى من جرح
لرأته ٠٠ عبرنا القناء الداخلى ، ودخنا الى البيت
من باب جانبي لأن الباب الرئيسى كان مغلقا
بالسلاسل .

كان الظلام حالكا بداخل البيت ، ولكن الفتاة
أشعلت شمعة كانت موضوعة على منضدة قرب
الباب ٠٠ ثم سحبتنى عبر ممرات كثيرة ٠٠ وصعدت
بى سلما ٠٠ وكانت تقول لى بازدره : هيا ٠٠ لا تسلكا
هكذا يارلد ٠٠ !

ووقفنا أخيرا فى مواجهة باب مغلق . وقالت
لى الفتاة : هيا ٠٠ ادخل !

فقلت لها بشئ من الخجل والأدب : بعدك
يا آنستى ٠٠ !

فقال بعزم : لا تكن سخيفا هكذا ياولد ٠٠
عانا لن أدخل الآن ٠٠



اغرب سيلة شاهدها في حياتي

وأخضت الشمعة وانصرفت عائدة ، وتركتني
في هذا الموقف ، وسط الظلام الدمس . وشعرت
بكثير من الرهبة وأنا أطرق الباب . . . وسمعت صوتا
مبحوحا يدعوني للدخول . . . فدخلت . . .

وجدت نفسي في حجرة واسعة مضاءة بالشموع
تبدو كما لو كانت حجرة الملابس لحدى السيدات . . .
فقد كانت هناك امرأة كبيرة ذات اطار مذهب موضوعة
فوق منضدة مغطاة بفرش . . . وكانت هناك ملابس
نسائية كثيرة متناثرة هنا وهناك أو موضوعة في بعض
صناديق الملابس . . .

وفي وسط هذا كله . . . رأيت أغرب سيدة
شاهدتها في حياتي . . . كانت ترتدي ملابس العرس
البيضاء . . . ثوبا من الحرير الأبيض والدانتيل
البيضاء . . . وعلى رأسها طرحة طويلة بيضاء أيضا . . .
وفي قدمها فردة واحدة من خذاء أبيض ، أما الفردة
الثانية فكانت موضوعة على منضدة قريبة . . . وكانت



الآنسة هافيشام وقلبها الكبير

لبس فى يدها قفازات بيضاء ٠٠ وتمسك بمنديل
أبيض من القماش المخرم ٠٠ وعلى التريشة كتاب
للصلوات له غلاف أبيض ٠٠

ورغم انى قد وصفت جميع هذه الأشياء
بالبياض ، الا أن لونها فى حقيقة الأمر يميل الى الصفرة
بفعل الزمن . كما أن الزمن قد ترك بصماته واضحة
على السيدة العجوز التى ترتدى هذه الثياب ٠٠ فمس
الوضوح أن ثوب العرس الذى كانت ترتديه ، كان معدا
من قبل لعروس شابة ، أما الآن فهو يبدو متهدلا فوق
جسم متهدل نحيف لا يعدو أن يكون جلدا على عظم ٠٠
هذه اذن ٠٠ الأنسة « هافيشام » ٠٠٠

قالت لى : من أنت ٠٠ ؟

فقلت : أنا « بيب » يا سيدتى ٠٠ أحضرنى
العم « بامبلشوك » لكى ألعب ٠٠

فأمرتنى : اقترب منى ٠٠ هل تخاف من سيدة
لم تر الشمس منذ مولدك ٠٠

فهزئت راسي قائلا : لا ..

رغم أن الحقيقة كانت غير ذلك .. وعندئذ وضعت
يدها على الجانب الأيسر من صدرها ، وسألتني : هل
نعرف ماذا يوجد هنا داخل صدري .. ؟

فقلت على الفور : قلبك يا سيدتي .. فابتسمت
ابتسامة غريبة **وقالت في شيء لا يخلو من الاحساس**
بالفخر : قلب كبير .. !

ثم أشارت الى لكي انظر الى الساعة الموضوعة
فوق التشريرة ، والى ساعة أخرى معلقة على الحائط ..
وكانت عقارب كل من هاتين الساعتين متوقفة عند
الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ..

وقالت لي وهي توميء برأسها ابقاء ذات معنى :
انا تعبانة .. واريد شيئا يسليني .. وعندئذ ميل
شديد لأرى شخصا ما وهو يلعب .. هيا اللعب .. !
وقفت صامتا دون أن افعل شيئا .. لا أدري
ماذا افعل .. ولا كيف ألعب .. واستدارت هي لكي

رى صورتهى المنعكسة على صفحة المرآة . وبعد فترة قصيرة التفتت الى وصاحت بعد أن نفذ صبرها : نادى على « ستلا » . . . انك على الأقل تستطيع أن تفعل ذلك اذا كنت لا تستطيع أن تلعب . . . قلت لك نادى على « ستلا » . . . !

خرجت من الحجرة الى الممر المظلم ، وناديت على « ستلا » . . . وفي الحال ظهر نور الشمعة التى تحملها « ستلا » قادمة نحوى . وما أن دخلت الفتاة الى الحجرة حتى قربتها الانسة « هافيشام » اليها . . . ثم اخرجت من أحد أدراج التسيريحة قطعة مجوهرات علقتها بشعر « ستلا » الكستنائى . . . وقالت لها وهى تضحك ضحكتها الغريبة : فى يوم ما ستصبح هذه المجوهره ملكا لك يا عزيزتى . . . ستكسبين بها اعجاب الرجال الذين ستحطمين قلوبهم . . . والآن . . . العبى الورق مع هذا الفتى . . . وساتفرج عليكما . . .

وقالت « ستلا » ساخطة : لعب مع هذا الفتى؟
. . . انه مجرد عامل صغير من أبناء العوام . . .



جوهرة على شعر ستلا

فهيمت لها الأنسة « هافيشام » : حتى ولو
كان كذلك .. يمكنك أن تحطى قلبه .. إلا
تستطيعين ذلك ؟!

وأطاعتها « ستلا » .. وجلسنا على الأرض
لنلعب الورق .. ولكنى لم استطع أن أركز ذهني في
اللعب بسبب الملاحظات الكثيرة. التي كانت تبديها
« ستلا » للأنسة « هافيشام » .. كانت تقول
باشمئزاء واضح : ان يديه خسنتان .. وحذاءه
غليظ .. انه لا يعرف الاسم الصحيح لورقة «الولد»
في « الكوتشينة » !

لقد تضايقت كثيرا من سوء معاملتي ، ومن كثرة
الملاحظات التي أبدتها « ستلا » على تصرفاتي ، وشدة
استهزائها بي .. وبطبيعة الحال فقد كسبت « ستلا »
الجولة ..

وكانت الأنسة « هافيشام » تجلس هاملة كالجنة
وهي تراقب اللعب .. وأخيرا انحنيت نحوي وقالت لي :
ان « ستلا » قالت عنك أشياء كثيرة غير طيبة .. وانت
لم تقل عنها أى شئ .. ما رأيك فيها .. اخبرني ..!



مستلا تسخر من حذاء ييب

وازاء هذا الاصرار من الأنسة « هافيشام » ..
اضطرت ان اهمس في اذنها قائلاً : « ستلا » فتساءل
جيلة فخورة بنفسها .. ولكنها كثيرة الشتائم ..
هل يمكنني ان انصرف الآن .. ؟!

ولكن الأنسة « هافيشام » لم تسمح بانصرافي
قبل ان اكمل جولتي ثانية من اللعب ، ثم امرتني
بالانصراف على ان اعود اليها بعد ستة ايام .. وامرت
« ستلا » بان تقدم لي شيئاً من الطعام .. فقدمت الى
بعض الحبز وقطعة من اللحم .. بطريقة جعلتني
احس بانها تقدم الطعام الى أحد الكلاب ..

ومن شدة ما عانيته من آلام الهوان والذل ..
طفرت الدموع من عيني وسالت على خدي .. وعندئذ
لمحت ابتسامة الاستمتاع ترسم على وجه « ستلا »
وهي تهز رأسها باذراء واضح ..

وعندما عدت الى بيتي .. عاملتني اختي معاملة
حسنة .. باعتباري قد وصلت الى مكان ما في هذا
العالم ، وتقدمت ولو خطوة واحدة الى الامام .. ولكنني
في حقيقة الأمر كنت بائساً ..



کھا لو کانت تھم کھا !

لم أكن أعرف من قبل انى من العوام الا بعد ان
اشارت « ستلا » الى ذلك .. ولم أكن أدري كم كان
حنائي غليظا .. وكم كانت يداى خشتين .. وكم
كان جهلى لأنى لا أعرف الاسم الصحيح لورقة « الولد »
فى الكوتشينه ..

شعرت بالحجل والعار من كل ذلك .. وكان
اللقاء الذى تم مع « ستلا » الجميلة فى هذا اليوم ..
سببا فى تغيير حياتى كلها ..



غرفة الطعام بيت الأنسة هافيشام

الفصل الخامس :

أول قبلة في حياتي !!

وبعد ستة أيام .. عدت طائما لمقابلة الأنسة
« هافيشام » .. ومرة أخرى قادتني الفتاة المتعطسة
« ستلا » عبر الممر المظلم ..

وكانت الأنسة « هافيشام » جالسة كالمعتاد
أمام تسريحتها ، واستقبلتني هلمة المرة قائلة :
انك لا تجيد اللعب يا فتى .. هل تحب أن تشتغل
أذن .. ؟!

فاومأت براسي موافقا ، واشارت الى بان
انتظرها في حجرة الطعام عبر الصالة ..
وكانت حجرة الطعام ماثلة تماما لحجرة
الملابس .. نفس الستائر المسدلة التي تحجب ضوء



هله كيمكة عرسى !

النهار ٠٠ ونفس الرائحة الحافقة للهواء المكتوم ٠٠
وكانت عقارب الساعات الموجودة بتلك الحجر متوقفة
ايضا عند الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ٠٠

وكانت قطعة الأثاث الرئيسية الوحيدة بتلك
الغرفة ، عبارة عن مائدة كبيرة مستطيلة ، مغطاة
بمفرش قديم يعلوه التراب ٠٠ وتبدو كما لو كانت
معدة - منذ زمن مضى - لأحد الاحتفالات ٠٠ وفي
منتصف المائدة كان يوجد حامل فضى عليه صينية
فضية كبيرة فقدت بريقها ، وفوق الصينية كانت
توجد كومة صفراء اللون من شئ لم استطع أن
أبينه بسبب الأكوام المتراكمة من خيوط نسج
العنكبوت التي تغطيه وتغطي الصينية والحامل وكل
شئ آخر على المائدة .

وكننت مأخوذاً بمشاهدة العديد من الفئران
وهي تجرى هنا وهناك وفي كافة أنحاء الحجر لدرجة
أنى لم انتبه الى وقع خطوات الأنسة « هافيشام »
وهي تخرج فى طريقها الى الحجر ، محنية الجسم ،
مستندة على عصاة تساعدتها فى المشى ٠٠

وأشارت الآنسة « هافيشام » بعصاها الى الكومة
الصفراء التى تغطيها خيوط العنكبوت وقالت : هذه
كعكة عرسى .. !

ثم استندت بيدها المرتعشة على كتفى ،
وامرتنى قائلة : والآن .. فان كل الشغل المطلوب
منك هو أن أستند على كتفك وبدور معى حول
الغرفة ..

وعلى الفور استندت على كتفى وشرعنا ندور
ببطء شديد حول الغرفة مرات ومرات .. وكان هذا
هو « الشغل » المطلوب منى ، بالإضافة الى جولة
« لعب » بورق الكوتشينه مع « ستلا » تحت مراقبة
الآنسة « هافيشام » .. وينتهى الأمر أخيرا بتغذيتى
مثل الكلاب ..

واستمر الحال على هذا المنوال لمدة ثمانية شهور
وربما أكثر .. ولكن بمرور الوقت تقدمت قليلا فى
اللعب .. ومع ذلك فقد ظلت « ستلا » تقسمو على
بشدة ، وكانت دائما تجد أى نقص أو أية مناسبة
لتسخر منى ..

ولكن هذا النظام اختلف فى مرتين ٠٠ المسره
الأولى حدثت حين كانت « ستلا » تقودنى لصعود
السلم ٠٠ فقد شاهدت رجلا فى منتصف درجات
السلم ٠٠ وتوقف الرجل عن النزول واخذ يتفحصنى
٠٠ وسأل « ستلا » : من هذا الفتى ؟ .

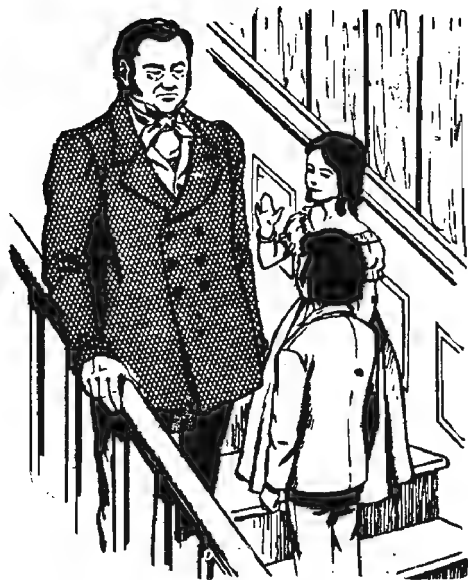
**فاجابت « ستلا » بلا عناية ولا اهتمام : مجرد
ولد ٠٠ !**

كان الرجل ضخيم الجسم كبير الرأس ، وكان
من الصعب على أن استريح لمظهره وهو ينظر الى
بارتياب ، بعينيه الحادثتين تحت حواجبه الثقيلة
السوداء ٠٠ **وقال الرجل : هل هو من الجيران ٠٠ ؟**

فاجبت على الفور : نعم يا سيدى ٠٠ أنا «بمب»
يا سيدى !

وتاملنى الرجل لحظة ، ثم اراحنى من طريقه ٠٠
ولهذا فقد نسيت ونسيت مقابله ، لانه حتى تلك
اللحظة كان عديم الأهمية بالنسبة لى ٠٠

أما المرة الثانية التى اختلف فيها هذا النظام ،
فحدثت حين تركتنا الآتسة « هافيشام » - أنا



الرجل يسأل ستلا عن بيبي

و « ستلا » - لكى نلعب الورق اكثر من الوقت المعتاد .. وفى هذه المرة تأثيت كثيرا وأنا ارتب اوراق اللعب فكسبت الجولة .. وأثنت على الأنسة « هافيشام » ..

ويبدو أن هذا الثناء قد أثر فى نفس « ستلا » .. لأنها عندها كانت توصلى الى البوابة ، توقفت واستدارت نحوى وقالت : تعال .. يمكنك الآن أن تقبلنى .. اذا كنت راغبا فى ذلك !

وقدمت الى خدها .. فقبلته .. وحتى تلك اللحظة كنت على استعداد أن أضحي بأى شئ فى سبيل قبلة واحدة من « ستلا » .. ولكنها حتى وهى تمنحنى هذه القبلة ، كانت تتكلم بالطريقة المتفطرسة المتعالية التى كلمتنى بها الأنسة « هافيشام » حين أثنت على ..

كانت « ستلا » تقلد السيدة المجوز فى كل شئ، .. حتى فى طريقة إعطائها « البقمشيش » لفتى من العوام مثل ، استطاع أن يفعل شيئا يستحق الثناء ..



يَمَكُنْكَ أَنْ تَقْبِلَنِي إِذَا أَرَدْتُ

وفى يوم ما ، حين كانت الآنسة « هافيشام »
تضع يدها لتستند على كتفى لنقوم بالجولة المعتادة ،
قالت لى : يبدو أنك تزداد طولاً يا « بيب » .. :

ثم سألتنى عما إذا كان زوج أختى الحداد مازال
متمسكاً بى لكى أصبح صبيه بصفة رسمية ..
فقلت لها : إن ذلك هو أعز أمنية لصديقى « جو » ..
وهنا قالت لى : إذن .. فقد حان الوقت لتصبح هذه
لأمنية حقيقة .. دعنى أرى الأوراق الرسمية ..

وعلى هذا فقد ذهبت الى مجلس المدينة فى صحبة
أختى و « جو » ، والعم « بامبلشوك » .. وهناك قاموا
بتسجيل اسمى رسمياً لأصبح صبياً « ليو » ..

وعندما قدمت الأوراق الرسمية للآنسة
« هافيشام » نراها كما طلبت من قبل .. وافقت على
ذلك وأعطتنى مبلغاً عظيماً من النقود .. خمسة
وعشرين جنيهاً ذهبياً .. **وقالت لى :** لقد كنت ولداً
لطيفاً .. وهذه هى مكافأتك .. ولا تتوقع أكثر من
ذلك .. ولا تحضر الى هنا بعد الآن .. لقد أصبح
« جو جاجرى » سيدك واستاذك ..



مكافأة من الأنسة هاليشام

وعندما عدت الى البيت . وشاهدوا المكافاة التي
حصلت عليها ، أصبحت أختي أكثر اقتناعا من أى
وقت مضى ، بأن الأنسة « هافيشام » مازال لديها
بعض الخطط الخاصة بمستقبل ٠٠ فوفقها العم
« بامباشوك » على هذه الفكرة ، وذكرنا جميعا بأنه
السبب المباشر فى تقديمي الى الأنسة « هافيشام »
ولولاه لما تمت هذه المعرفة .

أما « جو » فقد كان فى غاية السعادة لانى
أصبحت صبيه ٠٠

ورغم أن ذلك هو بالضبط ما كنت أسعى اليه
وآتمناه فيما مضى ٠٠ الا انى أصبحت الآن غير راغب
فى الوقوف أمام قرن الحداثة ٠٠ بل وغير راغب أيضا
فى أن أعيش حياتى كحداد ٠٠

كأنت معرفتى بالأنسة « هافيشام » و « سنلا »
٠٠ قد غيرت مشاعرى تماما ٠٠



يبس الحزين

الفصل السادس

الحزن والتجمل ٠٠

ومرت الأيام وأنا أعمل كصبي حداد ٠٠ وفى كل
يوم. كانت كراهيتى تزداد لهذه المهنة ٠٠ كان يخيّل
الى فى بعض الاوقات أن « ستلا » تطل على من فتحة
فرن الحدادة ٠٠ وترى وجهى ويبدى وقد علاهم الهباب
الأسود ٠٠ وتضحك ملء فيها وهى تحتقرنى وتزدرينى
وتسخر منى ٠٠

فكرت مرة فى أن أهرب من هذه المهنة لأعمل فى
البحر ٠٠ ولكنى خضيت أن أؤذى مشاعر « جو » بهذا
الفعل المضحى ٠٠ أو أحطم وهمه بأن مهنة الحدادة مهنة



ابنة عم الأنسة هافيشام

طيبة ٠٠ ولذلك فقد وطدت نفسى على اخفاء مشاعرى
عن « جو » ٠٠ كنت تمسا حزينا ولكنى كنت اشعره
بأنى فى غاية السعادة ٠٠

وبعد مرور سنة ٠٠ أصبحت لا أطيق منع نفسى
من رؤية « ستلا ، والأنسة » هافيشام « أكثر من
ذلك ٠٠ وما أن وافق « جو » على اجازتى ليوم واحد ،
حتى وجدت نفسى فى الطريق الى بيت الأنسة
« هافيشام » ٠٠ ومر وقت طويل وأنا واقف أمام
لبوابة ٠٠ استجمع قواى لأدق الجرس ٠٠

وجاءت امرأة لترى من الطارق ٠٠ وقدمت لى
نفسها باعتبارها إحدى بنات العمومة للأنسة
« هافيشام » ٠٠ وكنت على يقين أن هذه المرأة تريد
أن تطردنى ولا تسمح لى بالدخول ، لولا أنها لا تملك
مثل هذا الحق الا بعد أن تأخذ الأوامر من الأنسة
« هافيشام » ٠٠٠

ولحسن الحظ فقد سمحت الأنسة « هافيشام »
بدخولى ٠٠ وكان كل شىء بالببيت كما هو مثلما تركته



ييب يتوقع اخبارا عن ستلا

آخر مرة .. وقالت لي فور استقبال : هاه .. أرجو
الا تطلب شيئاً لنفسك .. فلن أعطيك أى شيء
بالمرة ..

فاجيت : لا يا آنسة « هافيشام » .. فقد جئت
لأخبرك بأن عملي كصبي حداد يسير على نحو حسن ..
وأنا أشكرك لأنك ساعدتيني على ذلك ..

فقالت : اذا كان الأمر كذلك فهذا شيء طيب ..
وفى استطاعتك أن تحضر لزيارتى بين حين وآخر ..
ويمكنك أن تحضر فى عيد ميلادك القادم ..
وعندما لاحظت أنى انظر حول باحثاً عن شيء
ما .. أدركت ما أفكر فيه .. وابتسمت ابتسامة
ماكراً **وهي تقول :** أراك تبحث عن « ستلا » .. أليس
كذلك ؟

فقلت على الفور : نعم يا سيدتى .. وأرجو أن
تكون بخير ..

فقالت ونفس الابتسامة على فمها : أنها بخير ..
لقد سافرت الى خارج البلاد .. وهى الآن تتعلم لكى



الهجوم على أخت بيبي

تصبح سيده ٠٠ انها الآن أكثر جمالا من أى وقت مضى ٠٠ وتحوز اعجاب كل من يشاهدها ٠٠ هل تشعر بأنك غفدتها ؟!

واطلقت ضحكة حقودة وهى تسألنى هذا السؤال ٠٠ ولكنى لم أجبها بشئ ٠٠ وانتهت المقابلة ٠٠ واسرعت بالخروج من الحجرة ٠٠ وهبطت درجات السلم ٠٠ وخرجت من البيت ٠٠ وسرت فى الطريق عائدا الى بيتى ٠٠ ومازالت ضحكتها الحقودة ترن فى أذنى ٠٠

كان ظلام الليل قد حل وأنا اقترب من البيت ٠٠ وقد أدهشنى انى رأيت جميع أنوار البيت وورشة الحدادة مضاءة ٠٠ وعندما اقتربت أكثر ، رأيت عدیدا من الناس يتجمعون فى الفناء الخارجى ٠٠ فبدأت أجرى ٠٠ وأفسح الناس لى الطريق عندما شاهدونى ٠٠ وفى المطبخ رأيت مجموعة أخرى من الناس متجمعين على شكل حلقة ٠٠ وكان « جو » يقف بينهم ومعه طبيب القرية ٠٠ وعلى الفور أفسحوا لى مكانا لأرى منه ما يتحلقون حوله ٠٠

كانت أختي واقفة على أرض المطبخ .. بلا حراك
.. وغالبية عن الوعي .. وتنزف الدماء بغزارة من
جرح شهيد برأسها ..

ووضع « جو » ذراعه حول كتفي وقال يشرح لي
الأمر : والآن ياتني .. يجب أن نتذرع بالشجاعة ..
لقد تسلل شخص شرير الى هذا المطبخ وضرب
« مسز جو » على رأسها ..
وقلت وأنا الهت : هل مازالت حية يا «جو» ؟

وعندئذ أجاب الطبيب : نعم حية .. ولكن من
المحتمل ألا تعود الى حالتها الطبيعية .. !

وقامت الشرطة بتحقيق الحادث .. وسالت كل
فرد في المنطقة .. ولكن أحدا لم يشاهد الجريمة حين
وقعت .. وكل ما قيل أن شخصا ما قد تسلل الى
المطبخ .. وفاجأ أختي حين كانت تقف أمام الموقد ..
وضربها بشيء ثقيل على مؤخرة رأسها .. وعلى هذا
استمر التحقيق لأسابيع طويلة ، دون أن يعرف من
الجاني ..

وكنيت اعرف - أنا و ه جو ، - ان أختى قد
اكتسبت عداوات كثيرة بسبب سلاطة لسانها وحده
طباعها .. فلم أكن أنا الشخص الوحيد فى هذه القرية
الذى تلقى الضربات العنيفة من قبضتها القوية ..
وكنا نعرف أنها كانت مكروهة تماما من العديد
من الناس .. ولابد أن واحدا منهم هو الذى ارتكب
هذه الجريمة .. ولكننا لم نذكر عن هذا الموضوع
شيئا ..

طلت حية .. ولكنها فقدت ذاكرتها وأصبحت
عاجزة تماما عن الكلام .. وبالتالي فقد تغيرت
شخصيتها وعاداتها .. أصبحت هادئة صبورة ..
ولا تطلب شيئا سوى أن تشير بيديها لكى نضعها
جوار المدفأة .. تماما مثل قطة عجوز ..

وفى البداية كان « جو » قلقا ومضطربا بسبب
الحالة التى آلت اليها زوجته .. ولكنه بالتدريج ، بدأ
يجس بالهدوء والمتعة .. خصوصا بعد أن جاءت « بيدي »
لتميش معنا .. لكى نخدمنا وتعتنى بنا ..



لقد أصبحت الحياة أكثر هدوءاً

كانت « بيدى » فتاة يتيمة من فتيات القرية ،
تربطها علاقة قرابة بعيدة « بمستر ووبسل » ..
وكانت ذكية بشكل يثير الإعجاب .. وقد تقدمت في
القراءة والكتابة بفضل توجيهاتها وإرشاداتها .. أما
بالنسبة إلى قدرتها على الطبخ فقد كانت طبخة ماهرة ..
أكلنا - أنا و « جو » - من صنع يديها أذن الوجبات
التي لم نذق مثلها من قبل مطلقا ..

وكانت تعطف على أختي وتعاملها برقة .. ووفرت
لنا جميعا كل أسباب الراحة والنظافة .. وأصبح في
استطاعة « جو » - لأول مرة في حياته - أن يذهب إلى
حانة القرية ليتناول كأسا من البيرة ، ويتمتع بحديث
طبيب مع الرجال الآخرين ..

وبدأت أثنى في « بيدى » لأنها كانت ودودة
عطوفة ولها آراء تنصف بالحكمة .. واليها وحدها
أفضيت بسرى .. سرى الذي لم أبح به لأحد قبلها ..
قلت لها : أريد أن أصبح « جنتلمان » يا « بيدى » ،
واترك مهنة الحدادة !



بیب یحیی احلامه الی پینلی

فرفعت عينيها عن القماش الذي كانت تخطه
وقالت : من أجل « ستلا » .. أليس كذلك ؟ .. لأنها
لا تريدك حمادا ..

وبمنتهى اليأس قلت : نعم ..

وشمرت بالحجل من نفسي .. ومن « ستلا » ..



مستر جاجرز يظهر بالورشة

الفصل السابع

الآمال الكبرى

انقضت نحو أربع سنوات منذ أن عملت صبيًا
لجو « ٠٠ عندما ظهر « مستر جاجزر » أمام باب
بيتنا ٠٠ لقد تعرفت عليه على الفور ٠٠ لقد كان نفس
الرجل الذي قابلناه - أنا و « ستلا » - على درجات
السلم ببيت الأنسة « هافيشام » منذ سنوات مضت.
نفس الرجل بعينه الحادة النظرات وجواجه الكثيفة
السوداء ٠٠

قال وكأنه يتمتع بنفوذ عظيم : أعتقد أن هذا هو
بيت الحداد « جوزيف جارجرى » وصبيه « بيپ » ؟
فقال « جوي » : هذا صحيح ياسيدى ٠٠
فقال الرجل بتؤدة وبكبر من الوقار : اسمى « جاجرز »
٠٠ وأنا أعمل محاميا في لندن ٠٠ وقد جئت الى هنا
نساء على طلب أحد عملائي ٠٠



عرض لتحقيق الآمال الكبرى

تأثر « جو » بالطريقة الفخمة التي كان يتحدث بها الرجل ، فقادته الى ججرة الجلوس .. حيث سبقتهما الى هناك لكي أرفع الأغطية عن المنضدة والكراسي والأريكة ..

وسحب « مستر جاجرز » الكرسي الى جوار المنضدة ، ووجه الى « جو » نظرات صارمة ، وبدأ يقول: لقد جئت الى هذا لأعرض عليك أن تتخلى عن « بيب » كصبي لك وهذا من أجل مصلحته .. فكم تطلب لكي تعفيه من العمل معك .. ؟

فاجاب « جو » بلا تردد : لا أطلب أى شئ ، اطلاقا .. ولا يمكن أن أقف كمقبة فى طريق « بيب » ، مادام ذلك فى مصلحته .

وهنا التفت « مستر جاجرز » الى وقال : لدى تعليمات بأن أخبرك بأنك ستصل أخيراً الى عالم الثروة والمال .. ويريد الشخص الذى سيمنحك الثروة ان تتاهل من الآن لكي تصبح قادرا على ادارتها . ولهذا فان هذا الشخص يريد منك أن تتعلم لكي تصبح



مستتر جاجرز یقول شروطه

« جنتلمان » لديه آمال كبرى في مستقبل مزهر
بالفراء ..

وفاض بى احساس عظيم بالسعادة والفرح
فها هو حلى يتحقق أخيرا .. وها هى الأنسة
« هافيشام » تحول خيالى العارم الى حقيقة واقعة ..

وواصل « مستر جاجرز » حديثه قائلا :
والآن يا « مستر بيب » .. هناك بعض الشروط لا بد
أن تعرفها .. أولا : فان هذا الشخص يريد منك أن
تتمسك دائما باسم « بيب » .. ثانيا : ان اسم هذا
الشخص المتبرع لك يجب أن يظل سرا الى أن يعلنه
هو بنفسه وقتما يريد .. واذا كنت قد خمنت اسم
هذا الشخص وعرفته ، فيجب ان تحتفظ بذلك لنفسك
وتلزم الصمت .. فهل هذا واضح ومفهوم .. ؟!

فاومات براسى موافقا ..

– وهل قبلت هذه الشروط .. ؟!

فاومات براسى مرة أخرى، وأكدت «لمستر جاجرز،
ان هذه الشروط واضحة تماما ومفهومة وسالتزم بها
وأطيعها ..

وصيت « مستر جاجرز » فترة ٠٠ لعله كان يريد
أن يهيننا لسماع كلماته الأخيرة بقدر من الاهتمام ٠٠
ونعض قائلا : أما بالنسبة للإجراءات والاستعدادات ٠٠
فقد قلت لك ان أمامك آمالا كبرى في مستقبل مزدهر،
أما الآن ٠٠ فقد خصص لك مبلغ كبير من المال ٠٠
مبلغ يكفي وزيادة لمصاريف تعليمك ونفقات
معيشتك ٢٠ وسأحتفظ بهذا المبلغ ليكون تحت
تصرفك ، وللصرف منه عليك أولا بأول ٠٠ لذلك
فيجب ان تعتبرني وصيا عليك ٠٠

وعندما حاولت أن أشكره ، أشار الى يديه :
كلا كلا ٠٠ شكرا لك ٠٠ فانا قد حصلت على أجر
كبير نظير هذه الخدمات ٠٠ والآن ٠٠ أرجو أن تستمع
جيدا الى المقترحات التالية : عليك بالحضور الى لندن
فورا بعد أن تشتري بعض الملابس المناسبة ٠٠ وهناك
سوف تسكن مع « هربرت بوكيت » وهو « جنتمان »
صغير في مثل سنك ٠٠ ولعلك تستطيع أن تتعلم منه
بعض العادات والتقاليد الحسنة ٠٠ كما أني أفتحت
أن يكون أبوه معلما خاصا لك ٠٠ فما رأيك في كل
هذا ٠٠ ١٩

فقلت مندلعها : كل ما تقوله يا « مستر جاجرز »
سأقبله .. ولقد سمعت عن عائلة « بوكيت » من
قبل .. انهم ينتمون بصلة القربى الى الأنسة
« هافيشام » ..

ولم تتأثر ملامح « مستر جاجرز » بأى شئ
عند سماع اسم الأنسة « هافيشام » وبدأ وجهه
كما لو كان قد نحت من الحجر .. وقال : نعم ..
انهم يمتون بصلة القربى اليها .. والآن .. اليك
بعض النقود الخاصة بشراء الملابس ومصاريف
الرحلة ..

وقدم لى عشرين جنيهًا من الذهب .. وترك بطاقة
صغيرة تحمل اسمه وعنوانه فى لندن .. وودعنا ..
وخرج ..

وظللنا - أنا و « جو » - جالسين على الأريكة
صامتين مشدوهين كما لو كنا قد أصبحنا تماثيل من
الحجر .. الى أن جاءت « بيدى » .. فأفاق « جو »
من دهشته ، وأخذ يقص عليها حكاية الحظ السعيد
والثروة التى هبطت على من السماء .. ثم اندفع



جارجز يعطى النقود وبطاقة عنوانه

« جو » بعد ذلك نحر المطبخ ليحاول افهام أختي هذه
الحكاية ..

وهنا أتني « بيدي » بحرارة وصدق ، وقالت لي
بهدهو : هاهو حليمك الأكبر قد تحقق .. فهل ياترى
ستتحقق أحلامك الأخرى ١٩٠٠

كنت أعلم أنها تشير بذلك الى حبي «لستلاء» ..
ولكنني كنت أعلم في نفس الوقت أن « بيدي » تعتبر
« ستلاء » فتاة مغرورة لا تستحق هذا الحب .. لذلك
لم أجد شيئا أقوله سوى أن أومات برأسي قائلا : من
يدري ١٩٠٠

أما أختي فقد أصبحت الآن غير قادرة على الفهم
والادراك .. ورغم ما بذلناه من جهد في الشرح ،
الا أننا لم ننجح في افهامها حقيقة ما حدث .. رغم
أنها ابتسمت مسرورة بما لاحظته من زيادة الاهتمام
بها على هذا النحو المفاجيء .

وفي صباح اليوم التالي ، استيقظت مبكرا
وأسرعت بالذهاب الى دكان « مستر تراب » خياط
القرية .. ولكن صبيه أخبرني بأنه مازال يتناول



تحقق احد احلامك ما ييب !

طعام افطاره بشقته التى تقع خلف الدكان .. واضطرت الى الانتظار فترة اوشك ان ينقد فيها صبرى .. الى ان دعانى الخياط اخيرا لمقابلته فى شقته .. كان لا يظن ان سبب مجيئى يستاهل التوقف عن تناول افطاره .. ولذلك فقد وقفت امامه دون ان يهتم بدعوتى الى الجلوس او مشاركته فى طعامه .. واخرجت من جيبى بعض الجنيهاات الذهبية **وقلت له : « مستر تراب »** .. لقد وصلتني بعض النقود .. واريد منك خدمة عاجلة ..

وفى لمح البصر ، توقف الخياط عن تساؤل الطعام ، ومسح اصابه وهب واقفا واتسعت عيناه من شدة الدهشة .. **وشرحت له الامر :** ان على أن أتوجه الى لندن بصفة عاجلة .. واريد منك أن تصنع لى حلة على « المودة » الحديثة لأرتديها فى تلك الرحلة ..

ودعانى الخياط فورا الى دكانه وبدأ يمارس حله بهمة ونشاط .. وأمر صبيه بانزال مجموعة من واب القماش المخصوصة على الرفوف واحدا بعد



اختيار القماش لعة جديدة

الآخر ٠٠ وأخذ يفرد لى هذه الأثواب ليغرجنى على
الأقمشة حتى اختار من بينها ما يناسبنى ٠٠ ورغم
أنه قد أثنى عليها جميعا ، إلا أنه ساعدنى فى اختيار
النوع واللون المناسب لشاب مثل ٠٠ ثم أخذ مقاييس
جسمى وأكد لى أن تناسب هذه المقاييس سيساعد
فى تفصيل حلة ممتازة .

ثم قام بعد ذلك بتوصيلى الى خارج الدكان ،
وفتح لى الباب بنفسه وودعنى بخفاوة بالغة ٠٠ وكانت
هذه هى تجربتى الأولى فى معرفة مدى التأثير العظيم
للتقود فى نفوس الناس ٠٠ !

وما أن انتهى الخياط من صناعة الحلة ، حتى
ارتديتها على الفور ، وأخذت طريقى الى بيت الأنسة
« هافيشام » لأودعها ٠٠ ولكنها قالت لى انها عرفت
حكاية الحظ السعيد والثروة التى جاءتنى عن طريق
« مستر جاجرز » ٠٠ وتمنت لى النجاح والتوفيق ٠٠
ثم أشارت الى بعضاها لكى انصرف ٠٠

كنت أريد أن اشكرها على كل ذلك ٠٠ ولكنى
تذكرت الشروط التى أملاها على « مستر جاجرز »



بيب يودع الأتيسة هافيشام

بعلم الكشف عن اسم المحس الذي نبرع لى بكل
هذه الثروة حتى وان كنت أعرفه .. فلزمت الصمت
وأنا أسمع آخر الكلمات التى قانتها الآنسة
« هافيشام » : وداعا يا « بيپ » .. وعليك أن
تحتفظ دائما باسم « بيپ » .. كما تعرف ..

وكلمسا اقترپ موعد رحيلى ، أزداد « جو »
كآبة وحزنا .. وقال لى بتأثر شديد : هل حقنا
سأفتقدك يا « بيپ » .. افتقد الصبى المطيع
الذى كان يساعدى فى أعمال الورشة .. افتقد
الصدیق العزیز الذى أحببته منذ أن كان طفلا ..
ما أسعد الليالى التى كنا نجلس فيها معا أمام
المدفأة ..

ونزلت من عيني الدموع .. لأن شغفى بالسفر
الى لندن .. واحساسى بأن آمالى ومنياتى الكبرى
فى سبيلها الى أن تصبح حقيقة واقعة .. وهذه الحالة
الطارئة التى غيرت مجرى حياتى .. كل ذلك قد
جعلنى أوشك أن أنسى أعز أصدقائى .. « جو » ..



بيپ يھل الى لندن

الفصل الثامن

حياتي الجديدة

سافرت الى لندن راكبا عربة تجرها أربعة جياد
قطعت المسافة في نحو خمس ساعات ، وكنت أشعر
بالرهبة حيال هذه المدينة الكبيرة ، الا أنني صلتحت حين
رأيتها مدينة غير نظيفة ، ملأى بشوارع ضيقة متعرجة
قبيحة الشكل ..

وذهبت مباشرة الى مكتب « مستر جاجرز » ..
حيث أخبرني بقيمة الحصاة المخصصة لى من المال ..
وهى مبلغ كبير أكثر مما كنت أتوقعه .. كما أعطاني
مجموعة من البطاقات المالية التى أستطيع أن أتعامل



پېپ وومېك پصلان الى خان بارنارد

بها مع المياطين ونسحاب المحلات الأخرى التى اشترى
منها حاجياتى على الحساب ، وعلى أن ترسل الفواتير
الى مكتب « مستر جاجرز » ليقوم بدفعها وتسوية
حساباتها .. ورضيت تماما بتلك الطريقة التى تسهل
أمر حياتى ، كما تساعد « مستر جاجرز » فى مراقبة
نفقاتى ..

ونادى « مستر جاجرز » على كاتبه « مستر وميك ،
ليقوم بتوصيل الى الحجرات المخصصة لاقامنى مع
الشباب الصغير « هربرت بوكيت » .

كان « مستر وميك » رجلا قصيرا ونحيفا ..
نتألق عيناه بنظرة حادة .. وقادنى الرجل الى مبنى
كبير يسمى « خان بارنارد » وهو عبارة عن مجموعة
من المباني يتوسطها حوش كبير .. ودخلنا من البوابة ،
ثم اتجهنا الى أحد تلك المباني ، وصعدنا درجات السلم
الى حجرات الطابق العلوى .. ولكننا وجدنا على
الباب ورقة معلقة مكتوب عليها : « ساحضر حالا » ..
ولأن الباب كان غبر مغلق ، لذلك فقد دلفنا الى
الداخل ..



هربرت یوگیت یو حجب بیب

وعندئذ قال لي « مستر وميك » : اعتقد انك
لست في حاجة الى الآن .. وعلى أن أنصرف .. واعتقد
أننا سنتقابل بعد ذلك بين حين وآخر لأنني أشرف على
الحسابات المالية الخاصة بـ « مستر جاجرز » ..
وشكرته كثيرا قبل أن ينصرف .. وأخذت أفحص
نلك الحجرات المخصصة لسكني باعتبارها البيت الجديد
الذي سأعيش فيه حياتي في لندن .. كانت الحجرات
كبيرة وتبدو أوسع مما هي عليه فعلا ، وذلك بسبب قلة
ما فيها من قطع الأثاث .. كما كانت تبدو غير نظيفة
بدرجة كافية ، وإن كان هذا أمرا محتملا باعتبارها
مسكونة بشخص أعزب ..

وبعد نحو عشرين دقيقة ، سمعت وقع خطوات
بالصالة .. وظهر شاب صغير يافع ، يحمل في يده
صندوقا صغيرا به كمية من ثمار الفراولة .. ابتسم
الشاب ابتسامة مرحبة وهو يلتقط أنفاسه **وقال** :
« مستر ويب » .. ؟!

فابتسمت مرحبا وقلت : نعم يا « مستر
بوكيت » ..

واعتذر لى قائلا : آسف لتأخرى ٠٠ فقد كنت
لا أعرف الموعد الحقيقى لوصول العربية الى لندن ٠٠
ورأيت من الأفضل أن أقدم لك مع غدائك بعض الفواكه
الطازجة ٠٠ لذلك فقد خرجت لاشتريها ٠٠

وكان هذا اللقاء أول دليل على أن « هربرت »
شخص طيب وعطوف ٠٠ وبدأنا الحديث دون أن يتيح
أمامى فرصة لأشكره ٠٠ بينما استمر هو فى التحدث
عن ترتيب حياتنا معا ٠٠

وفى مطعم بالمبنى المجاور كنا نتناول وجباتنا ،
وبترتيب سابق مع « مستر جاجرز » كنت أقوم
بالتوقيع على فواتير الحساب الخاصة بنا معا ٠٠ فقد كان
« هربرت » فقيرا رغم أنه « جنتلمان » حقيقى ٠٠

وقد اعترف لى « هربرت » بفقره بطريقة صريحة
ومهذبة جعلتني أحبه أكثر وأكثر فى كل دقيقة تمر
منذ لقائنا ٠٠ وكان يتقاضى دخلا متواضعا من البنك
الذى يعمل فيه ٠٠ وهو دخل يكفى بالكاد للوفاء
بالمصاريف الثرية ٠٠

واحضر الخادم لنا عدا شهيا يكون من دجاج
محمر وزبد وجبن وخبز .. وربما بدا لي مثل عذ
الفداء أحسن مما هو عليه فعلا .. على الأقل لاحتاسي
بأنى قد أصبحت الآن مستقلا .. وفي لندن !

ولا أدري ان كان « هربرت » يعرف قصتى عن
طريق « مستر جاجرز » أو عن طريق الأنسة
، هافيشام ، التى تمت اليه بصللة القربى .. ولكنى
رايت أن أحكيها له بنفسى .. ولذلك فقد استغرقت
ساعة كاملة حكيت له فيها كل التفاصيل .. وعندما
انتهيت ، طلبت منه أن يصحح لى عادائى وتصرفائى
وأن يرشدنى الى طريقة الحياة اللندنية ..

وطال علينا الوقت ومازلنا جالسين الى المائدة
نتناول طعامنا وتحدث .. ثم بدأ « هربرت » يحكى
لى قصة حياة الأنسة « هافيشام » .. قائلا : لقد ماتت
أمها حينما كانت طفلة صغيرة .. وقد أحملها أبوها ..
ولكنها ورثت عنه ثروة طائلة .. على فكرة يا «بيب» ..
ليس من المعتاد هنا فى لندن أن تضع السكن فى فمك



هربرت یصبح عادات پیپ

أثناء تناول الطعام .. فالثبوكة هي المخصصة لهذا
الغرض .. هذه ملاحظة بسيطة ..

قال هذه الملاحظة برقة شديدة وبلفظ لم
يغضبني ، بل على العكس فقد شكرته على تنبيهه الى
ذلك ..

واكمل « هربرت » القصة التي كان يرويها فقال :
وقعت الآنسة « هافيشام » في حب رجل أنيق كان
أبي لا يثق فيه أبدا .. ولكنها أعطته مبالغ كبيرة من
النقود أثناء فترة خطبتهما .. وفي اليوم المحدد
للزفاف .. أرسل هذا الرجل رسالة يتنصل فيها من
هذا الزواج .. وقد استلمت الآنسة « هافيشام »
هذه الرسالة الساعة

فقاطعت على الفور : في الساعة التاسعة الا
عشرين دقيقة بينما كانت ترتدى ملابس الزفاف ..

وقال « هربرت » : بالضبط .. فقد أوقفت
عقارب جميع الساعات الموجودة ببيتها عند هذا الوقت ،
وأمرت بعدم المساس بأي شيء من ترتيبات الحفل منذ



هربرت يحكي قصة الأنسة هافيشام

تلك اللحظة حتى يومنا هذا ٠٠ ملاحظة صغيرة يا عزيزي
« بيب » لا دأعي وأنت تشرب بقية ما في كأسك ، أن
تميل الكأس على فمك بهذه الطريقة التي جعلت حافة
الكأس العليا تمس أنفك ٠٠

وبسرعة أنزلت الكأس ، وشكرته على هذا
التصحيح ٠٠ وسالته : ولكن لماذا لم يتزوج هذا الرجل
من الأنسة « هافيشام » وسيطر بالتالي على كل
أموالها ٠٠ ؟

فقال : لا يدري أحد ٠٠ ولكننا نعتقد أنه كان
متزوجا بالفعل ٠٠ وهذا يؤكد أنه كان مخادعا طول
الوقت ٠٠ وأن حبه للأنسة « هافيشام » كان زائفا ٠٠

فهزئت رأسي أسفا **وأنا أقول :** مسكينة يا أنسة
« هافيشام » ! ٠٠ **وأقول في سرى :** مسكينة أيتها
المحسنة الكريمة ٠٠ !!



مقابلة مستر بوكيت والذين من الطلبة

الفصل التاسع

زائر من الريف ٠٠

وفى اليوم التالى ، حصل « هربرت » على اجازة من عمله ، لكى يصحبني الى بيت والده ويقدمنى اليه ٠٠ ومنذ اللحظة الاولى ، أحببت معلمى ٠٠ كان ذا شعر رمادى ووجه على ، بحيوية الشباب تملوه ابتسامة طبيعية ٠٠ وكان يشبه « هربرت » الى حد كبير ٠٠

وافهمنى المعلم انى سألتقى دورسى مع زميلين هما : « ستاوتوب » الصديق الطيب ٠٠ و « بنتلى درامل » الذى تبادلت معه الكراهية من اول نظرة ٠٠ وقد علمت فيما بعد ان « درامل » يتبادل هذه الكراهية

مع معظم الناس لأنه كان يعتبر نفسه فوق الآخرين
وأعلى من أن يتبادل الصداقة مع الناس العاديين ..
كان ينتمى إلى الطبقة الأرستقراطية ولكن أخلاقه وطباعه
كانت فظة ..

ولقد قلت لصديقي : « هربرت » فيما بعد أن
« دراهل » هذا يذكرني بعنكبوت كبير وأنه يثير التقزز
مثل هذا العنكبوت ..

وبدأ معلمى « مستر بوكيت » على الفور فى شرح
الدروس التى سألتهاها ، وذكر الأماكن والمعالم الهامة
فى لندن التى يجب أن أزورها .

وفى يوم ما ، بينما كنت جالسا بمسكنى فى
« خان بارنارد » .. رأيت أن من الأفضل أن أغير
أناك جميع المجرات وأعيد تجهيلها ، وأن يكون ذلك
مفاجأة طيبة « لهربرت » .. يجب أن أغير السجاجيد
والستائر وقطع الأثاث الأخرى ..

وعندما أبلغت « مستر جاجرز » بتلك الرغبة ،
ضحك وهو يقول : كنت على يقين بأنك لن تستغرق

وفتا طويلا لكى تستوعب جمال الحياة فى المدينة ..
كم تريد من المال لكى تنفذ رغبتك .. ؟!

وبينما كنت أؤمن المبلغ التقريبي الذى يكفى
لعمل هذه التجديدات ، دخلت مديرة المنزل الخاص
« بمستر جاجرز » لتقدم وجبة ساخنة من الطعام ..
كانت امرأة طويلة فى حوالى الأربعين ولها عينان
واسعتان خابيتا النظرات .. وعلى الفور ، لاحظت أنها
غير طبيعية .. وأن تصرفاتها وطريقة عملها تنسم بشئ
من الذلة .. رغم أن الطعام الذى قدمته كان لذيذا
وطيبا ..

وعندما حددت المبلغ التقريبي الذى أطلبه ..
نادى « مستر جاجرز » على « مستر وميك » وأمره بأن
يصرف لى هذا المبلغ فورا ..

لقد سر « هيربرت » كثيرا بالتجديدات التى حدثت
بالمسكن ، وظل طيلة اسبوع بأكمله يشد على يدي
كل يوم مهنسا اياى على المنظر الجميل الفخم الذى
أصبحت عليه الشقة ..

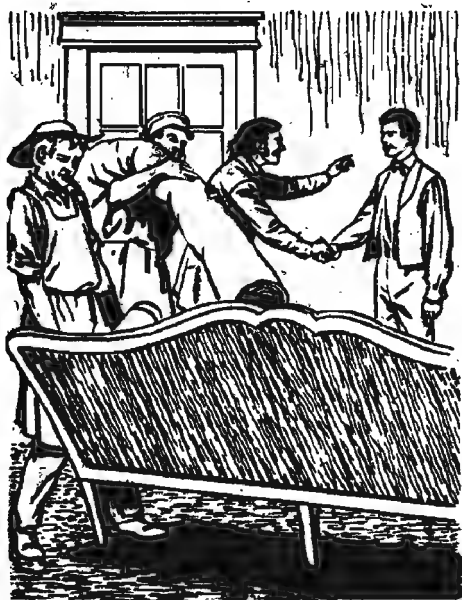


خادمة جاجرز تقسم طعام الغداء.

وما أن انتهى تجميل الشقة على هذا النحو ،
حتى أخبروني بأن هناك زائرا ينتظرني .. زائر
لا يستطيع التمييز بين سجاجيدي الشرقية المفروشة
على أرض الشقة ، وبين البساط الكالغ القبيح المفروش
بغرفة الجلوس بمنزل أختي ..

كانت « بيدي » قد كتبت الى رسالة تخبرني بأن
« جو » يرغب في الحضور الى لندن لزيارتي .. وكتبت
لها ردا أعدد فيه الموعد المناسب لهذه الزيارة .. وفي
حقيقة الأمر كنت لا أريد لهذه الزيارة أن تنم .. بل
وكننت على استعداد لدفع أى مبلغ من النقود لمنع هذه
الزيارة من الحدوث .. ولكن كيف كان يمكن إبلاغ
« جو » بكل ذلك .. كيف كان يمكن إبلاغه بأنى لم
أعد « بيب » الذى كان يعرفه .. ؟!

وفي اليوم الموعد .. سمعت وقع خطواته وهو
صعد السلم .. وعند وصل أمام الباب الخارجى ظل
يمسح قدميه فى المسحة الموضوعة بعتبة الباب حتى
كاد أن يبليلها .. وأخيرا دخل .. وأمسك بيدي
الائتنتين وأخذ يرفعهما الى أعلى يخفضهما الى أسفل كما



بیب یشتری آقا جدیدا

لو كان يجرب نوعا جديدا من طلبات المياه ..
وحاولت أن آخذ منه قبعة لأعلقها في المكان
المناسب ، وقد لاحظت أنها قبعة جديدة .. ولكنه
تمسك بها وكأنها آتمن شيء يمتلكه .. وظل يدرر
بنظرات عينيه متفحصا كل شيء .. وينظر في اعجاب
الى « الروب » الذي ارتديه ، وإلى قماشه الفخم الملون
باشكال الزهور .. ولكنه لم يتكلم كثيرا .. وأمسك
لسانه وظل صامتا ..

وسررت عندما وصل « هربرت » أخيرا .. وتبعه
الخادم الذي يحمل لنا الطعام .. وقبل أن يجلس
« جو » الى المائدة ، تخلى عن قبعته ، ووضعها بعناية
فوق الرف الرخامي بأعلى المدفاة . حيث سقطت عدة
مرات الى الأرض . وكان يعيدها الى الرف في كل مرة .
وسأله « هربرت » في أدب : « مستر جارجرى ،
هل تريد شايًا أم قهوة ؟ » !

فاجاب « جو » : شكرا لك يا سيدي .. أريد
أي شيء تختاره بنفسك !



حضر جو للزيارة

- اذن - - سأصحب لك بعض القهوة ..
فظهرت ملامح عدم الارتياح على وجه « جو »
وقال : شكرا يا سيدي .. مادمت قد اخترت القهوة
فلن أستطيع أن أعارضك فى ذلك .. ولكن ألا ترى
إنها تزيد الإنسان انفعالا .. ١٩
فقال « هيرت » وهو يصب له بعض الشاي :
- فليكن الشاي اذن .. !

وهنا سقطت قبعة « جو » من فوق الرف .
فالقطعها وأعادها الى نفس المكان .. وقد لاحظت أنه
كان كثير السرحان حين كان يتناول طعامه .. وأنه
جلس على مسافة بعيدة من المائدة لدرجة أنه أسقط
كمية من الطعام أكثر من الكمية التى أكلها ..
وعندما انصرف « هيرت » شعرت بكثير من
السعادة والارتياح .. لأننا أصبحنا وحدنا .. أنا
و « جو » الذى كان يشعر بشئ من القلق وعدم الارتياح
والحرج .. ربما لأنه أحس بما يدور بنفسه حيال هذه
الزيارة ..



عادات جو تضایق پیپ

ومع ذلك فقد بدأ « جو » حديثه قائلا : والآن ..

أصبحنا وحدنا يا سيدي ...

فقاطعته على الفور وصحت غاضبا : من فضلك،

يا « جو » .. كيف تنادينى بيا سيدي .. ١٩

فأخفض عينيه ونظر الى الأرض وهو يقول :

لقد أخطأت بالمجيء الى هنا يا « بيب » .. ان ملاسي

غير لائقة .. أنا أنتمي الى ورشة الحدادة والفرن

والمستنقعات .. أنا أعترف بأنه كان تصرفا يتسم

بالغباء .. عندما جئت لزيارتك هنا .. ولكنى

أرجوك عندما نريد رؤية صديقك القديم « جو » ..

فنتعال الى الورشة .. وأدخل رأسك فى فرن الحدادة

كما كنت تفعل من قبل .. والآن .. وداعا يا عزيزى

« بيب » .. وبارك الله فيك .. بارك الله فيك .. !

ولعدة أسابيع تالية .. ظلمت أشعر بالخجل من

نفسى بسبب ما حدث فى زيارة « جو » .. وقد ازداد

هذا الاحساس عندما وصلتني رسالة تخبرني بموت

أختى .. رغم أن خبر موتها جعلنى أحس بشيء من

الراحة ..



انباء طيبة من سسلا

ومرت عدة سنوات الى أن بلغت سن العشرين ..
وفي يوم ما ، وصيقتني أخبار طيبة .. أخبار من
الماضي .. فقد أنبأني « مستر جاجرز » بأن « ستلا »
قد عادت أخيرا من فرنسا .. وأنها تنوي أن تعيش
في لندن .. وأنها تدعوني لمقابلتها ..

يا لها من أخبار عظيمة .. !



يُحِبُّ فِي قَمْعَةِ السَّعَادَةِ

الفصل العاشر

ستلا ٠٠ !

فاضت نفسى بأحاسيس الفرح وقمة السعادة ٠٠
فهاأنذا سأرى « ستلا » وأقابلها مرة أخرى بعد كل هذه
الغيبة ٠٠ وانطلقت أغنى ٠٠ وأضحك ٠٠ مسرورا
بكل شىء فى الدنيا ٠٠

وكنت أتصور أن « هربرت » سيفرح بسعادتي
الغامرة ٠٠ واعترفت له وأنا أشعر بشىء من الحجل
بأنى أحب « ستلا » واعتبرها أغلى أعتية فى حياتى ٠٠!

وكنت أعتقد أنى أفضى اليه بأحد أسرارى الهامة،
ولكنه تقبل اعترافى كامر واقع معروف ، **وقال :**
اعرف ذلك !

واندهشمت ٠٠ **وقلت له متلعثما :** ولكن كيف ٠٠
كيف عرفت ذلك ٠٠ ؟

هناك بيتا : كان مكتوبا في عينيك وانت
تحكى لي عن طفولتك .. وزيارتك لمنزل الأنسة
« هافيشام » ..

وشعرت باحساس غامر من السعادة والارتياح
وانا احكى قصة حبى لصديقى « هربرت » وابدى له
اعجابى الشديد « بستلا » وجمالها الرائع الأخاذ ..
وباحساسى الدفين داخل نفسى بانى قد لا استحق
حبا .. رغم أن فكرة زواجى بها تعتبر أعظم أمل فى
حياتى ..

وكنت أظن فى قرارة نفسى ، أن الأنسة
« هافيشام » كانت تخطط لزواجى من « سنلا » ..
والا .. لماذا جعلت منى « جنتلمان » .. ووهبتنى
كل هذه الثروة .. ؟!

ووافقنى « هربرت » فى هذا الاستنتاج وقال انه
هو وكل اقارب الأنسة « هافيشام » يظنون أن الأمر
كذلك .. ولكنى شعرت بعدم الارتياح بادبا فى
نظرات عينيه ، خصوصا عندما قال : الآن يا عزيزى
« بيب » .. أريد أن أقول لك شيئا لا يسرك ..

ولكنني قبل أن أنطلق بكلمة .. أريد أولا أن اعترف
لك بأني أعمش أيضا قصة حب .. وجييتي اسمها
« كلارا بارلى » .. وسأرتب لك لقاء معها لكي تراها
بنفسك .. وأني أقول هذا حتى لا تظن أن لدى أى أمل
أو رغبة فى الزواج من « ستلا » ..

وبطبيعة الحال فإن هذا التصور لم يدر بذهنى
أبدا .. لذلك فقد تركت « هربرت » لبراصل حديثه
قائلا : عندما كان « مستر جاجرز » يبلى عليك الشروط
الخاصة بأمالك الكبرى .. هل ذكر ضمن هذه الشروط
أن زواجك من « ستلا » أمر واجب وضرورى .. ؟!

فاومات براسى : لا .. طبعاً ..

– إذن فأنت براسى ، يد بضرورة الزواج منها ..
وأننا أطلب منك – بمنتهى الاصرار – أن تتخلى عن
حبها .. !

**فتسالت وأنا أشعر باضطراب شديد من هول
المفاجأة :** ولكن .. لماذا .. لماذا يا « هربرت » ؟ .. ؟



هریوت یعترف بعبه لکلارا

فقال بهدوء : تذكر طريقة تربيتها ونشأتها ٠٠
تذكر أن الأنسة « هافيشام » قد جعلتها تتشبع بأفكارها
ومشاعرها ٠٠ تذكر كيف كانت « ستلا » متعجرفة
وباردة القلب ٠٠ تذكر أنها تكاد أن تكون صورة طبق
الأصل من الأنسة « هافيشام » ٠٠ !
أحسست وكأنى على وشك الانهيار ٠٠ وقلت
والبنوع تنهمر من عيني : ولكنى لا أستطيع أن أتخلى
عن حبها أبدا ٠٠ انى أعيدنها ٠٠ !
وفى الحقيقة كنت أقدر مشاعر « هيرت »
نحو ٠٠ ومع أن أوصافه لشخصية « ستلا » قد
ضايقتنى ٠٠ الا انها ظلت عالقة بذهنى وكامنة فى
نفسى لمدة طويلة ٠٠

وكنت فى ذلك الوقت قد بلغت الحادية والعشرين
من عمرى ٠٠ بلغت سن الرشد ٠٠ فأعطانى « مستر
جارجز » حرية التصرف فى أموالى ٠٠ كما سمح لى
بأن أحصل على قروض محدودة ٠٠ وخصص لى مبلغ
خمسائة جنيه سنويا ، كما منحنى خمسمائة جنيه
أخرى كهدية من المحسن الكريم الذى يرعانى بمناسبة
بلوغى سن الرشد .



عربوت يحدو ييب من سلا

وبطريقة سرية ساعدني فيها « مستر وميك » .
استخدمت حوالي نصف هذه المبالغ في شراء وظيفتي
« لهربرت » في إحدى الشركات الملاحية التي أنشئت
حديثا .. وهي شركة يمتلكها شاب ذكي أمين اسمه
« كلاريكار » كان في حاجة إلى مساعد نشيط بشرط
أن يساهم في الشركة بجزء من رأس المال ..
وتعاقدت مع « مستر كلاريكار » على أن نكون
هذه الوظيفة من حق « هربرت » .. وقدمت إليه جزءا
من رأس المال .. كما التزمت بأن أقدم حصة أخرى
من رأس المال في الوقت المناسب حتى يصبح
« هربرت » شريكا كاملا في هذه الشركة ..
وكان « هربرت » في غاية السعادة وهو يخبرني
بأمر تلك « الفرصة » الذهبية التي عرضها عليه
« مستر كلاريكار » .. وقد اعتبرت سعادته هذه
خير مكافأة لي على هذا الضئيل الجميل .. وحرصت
دائما على إخفاء هذا الأمر عن « هربرت » حتى لا يعرف
من هو « المحسن » الذي وضعه في هذا المركز ..
وكان هربرت يزداد سعادة في كل يوم يقضيه في
عمله الجديد ..



هريوت يحصل على الوظيفة

وفي ذلك الوقت كانت « ستلا » قد بدأت حياتهم الجديدة في لندن ، وأخذت تتمتع بكل دقيقة فيها ؛ وكانت الأنسة « هافيشام » قد رتبّت أمر إقامتها من سيّدة أرملة من سيّدات المجتمع لها ابنة شابة في عمر « ستلا » . وكانت لهذه الأسرة صلّات عديدة في المجتمعات الراقية . ولهذا كانت « ستلا » تدعى دائما لمرافقتها الى حفلات الرقص التي تدعى اليها ، ومصاحبتها في جولات الشراء التي تقوم بها .

كان من المفروض أن أصبح سعيدا بكل ذلك . ولكنني لم أحس أبدا بطعم هذه السعادة . لأن « ستلا » كانت تعاملني كأنّ نصف شقيق لها . أو كاني أعمل سكرتيرا في خدمتها . ورغم أن الكثيرين من الشباب المعجبين بها كانوا يحسدوني على ذلك إلا أنّي لم أجِد في ذلك أية سعادة أمّ ممتة .

وفي إحدى الأمسيات سألتني : « بيب » . هل يا ترى تصدّق ما يقال لك من ضرورة الحذر مني ؟

فسألتها بالتالي : هل تقصدين تحذيري من الانجذاب اليك يا « ستلا » ؟



بيبي يرافق ستلا في الحفلات

فاجابت : اذا كنت لا تعرف حقيقة ما اقصده

فلا شك في أنك أعمى لا ترى

ورغم يقيني بأن الحب أعمى .. فقد كنت أيرى
دائما في الاعتراف لها بحبي .. وكتب على يقين بأنها
نطيع الأنسة « هافيشام » طاعة عمياء .. لذلك فقد
سئمت أن أظل هكذا عمثا عليها .. وازدادت بالنال
أسباب تعاستى ..

وفي نفس الأمسية .. أمرتنى « ستلا » بأن
استعد لمرافقتها في زيارة الأنسة « هافيشام » التي
أرسلت لها دعوة بالحضور لمقابلتها .. وقالت لي
« ستلا » انها لا تحب أن تسافر وحدها ...

وبعد أن تناولنا الطعام على مائدة الآنسة
« هافيشام » .. جلسنا جميعا جوار المدفأة .. وطول
الوقت لم تستطع الآنسة « هافيشام » أن ترفع عينها
عن التأمل في وجه « ستلا » .. وطلبت منها بشرف
أن تحكي لها بنفسها قصص ضحاياها من المعجبن الذين
أخضعتهم .. وعلمت أن « ستلا » كانت تكتب لها



يا صاحبة القلب البارد

نصص هؤلاء الضحايا أولا بأول ٠٠ لأنى لاحظت أن
الآنسة « هافيشام » كانت تعرف أسماء كل المعجزة
الذين إخضعتهم « ستلا » ثم نبذتهم واحتقرتهم ٠٠
وعندما رأيت عيني الآنسة « هافيشام » وهما
تبرقان من أثر الاستمتاع الشرير بسماع هذه
الحكايات ٠٠ تأكدت أنها تقتنم الآن من الرجال
وتأخذ بشأرها من الرجل الذى تخلى عنها فى يوم
عرسها ٠٠ !

وجذبت الآنسة « هافيشام » يد « ستلا »
وقربتها منها ٠٠ ولكن « ستلا » جذبت يدها فى
ضيق بطريقة أغضبت الآنسة « هافيشام » التى صاحت
بأكية : « ستلا » ٠٠ هل تعبت منى ٠٠ ؟
فاجابت « ستلا » بهدوء تام : لقد تعبت من
نفسى ٠٠ !

فصرخت فيها المرأة العجوز وهى تهز عصاها :
ما انت الا تمثال من حجر لا قلب له ٠٠ !
فردت « ستلا » بنفس الهدوء : أنت التى
علمتني أن اصبح بلا قلب ٠٠



لعد حارسنى من الوفوع فى الحب

فيكت الأنسة « هافيشام » وهي تقول :
نعم تصيحين بلا قلب .. ولكن ليس ضدي أنا ..
بل ضد الرجال فقط .. يجب أن تبادليني ما اشعره
نحوك من حب .. !

وعندئذ هزت « ستلا » رأسها وهي تقول في
أسي : يا أسي بالتبني .. اني مدينة لك بكل شيء ..
وسأفعل كل ما تطلبين .. ولكني لا أستطيع أن أفعل
المستحيل .. لقد علمتيني كيف أجعل قلبي باردا
كالبحر .. علمتيني كيف لا أحب أحدا .. ولقد وعيت
دروسك جيدا .. !

ولم أستطع مساعدة نقيه هذا المشهد الغريب ..
فتركت الحجرة وخرجت الى الحديقة .. ومع ذلك فقد
كانت توسلات الأنسة « هافيشام » الذليلة تصل الى
سمعي ...



كمبيالات وفواتير وديون ١٠٠ !

الفصل الحادى عشر

اكتشاف شخصية «المحسن»

انقضت عدة شهور بعد انتهاء الاحتفال بعيد ميلادى الحادى والعشرين ٠٠ واحسست بانى قد أصبحت عاجزا تماما عن حل المشكلة التى صنعتها بنفسى ٠٠ كنت أرغب فى التحرر من ديونى والاعتماد فقط على مبلغ الخمسمائة جنيه التى يهبها لى «المحسن الكريم» فى كل سنة ٠٠ والحقيقة ان ديونى كانت كبيرة وكثيرة فبالاضافة الى التزامى بدفع المبلغ الكبير الخاص بالعقد الذى اتفقت عليه لصالح «هربرت» ٠٠ كانت على ديون أخرى



يُيب يسمع خطوات على السلم

للخياط ولبائع المشروبات والمجواهري ولكثيرين
غيرهم ..

والأمل الوحيد الذى كان يراودنى للنحنص من
هذه المشكله ، هو أن يقوم « المحسن » الذى يرعانى
بإهدائى مبلغا اضافيا فى كل عيد من اعياد ميلادى ..
وبهذه الطريقة وحدها ، أتمكن من تسديد ديونى ،
والاستمرار فى الحياة الرغدة التى أحيها ..
وعندما بلغت سن الثالثه والعشرين ، أصبحت
أضحك ساخرا من « بيب » الذى كان يظن عندما
وصل الى سن الحادية والعشرين ، أن مبلغ الخمسمائة
جنيه سنويا كان يعتبر ثروة طائلة .. ولم أفكر مطلقا
فى « بيب » الذى كان يعيش فى مقاطعه « كنت »
ويظن ان مهنة الهدادة التى يمارسها هى افضل وظيفة
فى هذا العالم ..

لقد توقفت عن تلقى الدروس .. ولكنى واصلت
القراءة والاطلاع لعدة ساعات يوميا .. وفى إحدى
الليالى هبت عاصفة باردة شديدة معتنى من الخروج ،
ولزم البيت واستغرقت فى القراءة ..



وصل رجل غريب ..

كنت وحدي ٠٠ لأن « هربرت » كان قد سافر
في مأمورية تخص عمله بالشركة الملاحة ٠٠ ودقت
ساعة « كاتدرائية سان بول » القرية الحادية عشرة
قبل منتصف الليل ، فقطعت حبل استغراقى في
القراءة ، ثم تنبّهت فجأة الى وقع أقدام تروح ويندو
في الممر الخارجى أمام الباب ٠٠ ونظرا لأن الريح
الشديدة قد أطفأت كل المصابيح واللمبات التى نضى
السلم والممر ، فقد حملت مصباح القراءة وفتحت الباب
لأتبيّن الأمر ٠٠ وما أن سطع ضوء المصباح فى ظلام
الممر ، حتى توقفت الخطوات ٠٠ فصاحت قائلا : من
هناك ٠٠ وماذا تريد ؟ ٠٠ !

فجاءنى صوت رجل أخذت أنبين ملامحه بالتدريج
فى ضوء المصباح : أنا هنا يا سيدى ٠٠ أبحت عن
« مستر بيب » ٠٠ !

وما أن رأيت هذا الرجل الغريب ، حتى تهللت
أسارير وجهه وبدا عليه السرور ٠٠ كان يرتدى ثيابا
جديدة ولكنها خالية من الذوق ٠٠ وكان ذا شعر رمادى
طويل ٠٠ : ويلطخ نحو الستين من عمره ، الا أن جسده

كان يبدو قويا مفتول العضلات .. وعندما أصبح
قريبا منى مد الى يديه اللتين لاحتها الشمس ..
ولم أدر ماذا أفعل .. الا انى قلت بكثير من الثبات :
انا « بيبي » .. ماذا تريد منى .. ؟

وصمت الرجل الغريب برهة .. وكأنه كان
يتوقع أن أدعوه الى الدخول .. وتردد وهو يقول :
آه .. أريد أن أشرح لك بعض الأمور ..

فاضطرت الى دعوته للدخول بطريقة حافة ..
وكنت منهدهشا من فيض الاحساس بالسعادة الذى
غمر هذا الرجل الغريب بمجرد أن رآنى وعرف من
أنا .. وما أن وصلنا الى غرفة الجلوس حتى ابتسم
الرجل الغريب ابتسامة راضية مطمئنة ومد الى يديه
مرة أخرى .. حتى ظننته مجنوناً .. لذلك فلم أمد
اليه يدي .. فشعر الرجل بالاحراج وتلعثم وهو يقول:
آه لقد فهمت .. وانت غير مخطئ، فى هذا على الاطلاق
.. ولكن أرجو ألا تشعرنى باليأس بعد أن قطعت
رحلة طويلة حتى أراك وألقاك ..

وخلع الرجل قبعته ومعطفه ، وجلس على مقعد

جوار المدفأة ، ومد يديه الى النار ليدفئهما .. ونظر الى
قائلا : ألا يوجد أحد هنا غيرنا ؟

فقلت بقضب : نأى حق تسألنى هذا السؤال ..
وما أنت الا رجل غريب لا أعرفه .. اقتحم بيتى فى
هذا الوقت المتأخر من الليل .. !

فهز الرجل رأسه مبتسما **وقال** : أنت رجل
شجاع يا « بيب » .. أنا مسرور لأنك قد أصبحت
شجاعا الى هذا الحد ..

وفى لمح البصر ، سطعت بذهنى فكرة كالبرق ..
لقد عرفت الرجل .. انه السجين الهارب الذى قابلته
بين المقابر فى ساحة الكنيسة التى تطل على مستنقعات
« كنت » .. !!

وعندما شعر الرجل انى قد عرفته ، مد الى يدي
مرة أخرى .. فمدت اليه يدي مستسلما هذه المرة ..
وفى الحال رفع الرجل يدي الى فمه وأخذ يقلبهما معبرا
عن الاعتراف بالجميل .. **وقال** : لقد كنت نبلا وكريما
معى يا بنى .. وسأظل أذكر أبدا « بيب » النمنم



اذكر دائما ييب النيل ..

الكريم الذي قابلته يوما ما في الماضي البعيد .. !
وعندما أوشك أن يحتضنني ، وضعت يدي على صدره ودفعته بعيدا عني .. وقلت له بحزم : اذا كنت قد جئت الآن لتشكرني بعد هذه المدة الطويلة .. فان ذلك غير ضروري ولا أهمية له .. واذا كنت قد ساعدتك وأنا طفل صغير ، فلعلك قد اخترت لنفسك طريقا صالحا وحياة أفضل من حياتك السابقة .. وعلى أية حال .. فأنا لا أستطيع أن أوفر لك الآن أية حماية .. !

صمت الرجل طويلا .. وأخذ يدور بعينه في أنحاء الغرفة ، الى أن استقرت نظراته على زجاجات الشراب المرسومة على رف جانبي .. وعندئذ قلت له : لا بأس في أن تتناول كأسا من الشراب ليدفئك قبل أن تنصرف .. !

وجلس الرجل على المقعد مرة ثانية وقال : شكرا لك .. أريد كأسا من الويسكي .. !
وصببت له كأسا .. وصببت لنفسى كأسا



لقد حققت نجاحا كبيرا

آخر ٠٠ **وقلت له بلا اهتمام** : هاه ٠٠ كيف كنت
عيش في كل تلك السنوات الماضية ٠٠ ؟

فقال بهلول : لقد عشت حياة ناجحة في
نيوساوث ويلز ، في « استراليا » ٠٠ واملك الآن
مزرعة وقطعانا من الغنم ٠٠ ولكن هل لي أن أسألك
بدوري عن مجرى حياتك منذ أن تقابنا ونحن نرتعش
من البرد في مستنقعات « كنت » ٠٠

واضطرتت مكرها أن أعطيه ملخصا وجيزا عن
مجرى حياتي ٠٠ وبعد أن انتهيت من ذلك **قال الرجل**
بهلول : أستطيع أن أخمن مقدار دخلك منذ أن بلغت
سن الرشد ٠٠ انه مبلغ يقدر بخمسمائة جنيه سنويا
٠٠ اليس كذلك ٠٠ ؟

كان يوجه نظرات ثابتة نحو عيني ٠٠ ورغم
صوته الهادي ٠٠ كنت أحس أن كلماته سدوى
كالصرخات داخل كياني ٠٠ وأخذت ارتعد ٠٠

وقال الرجل مواصلا حديثه : وأستطيع أن أخمن
ايضا أنك تحصل على هذا الدخل من خلال رجل يعمل



لقد جعلت منك « جنتليمان » ••

بالوساطة ٠٠ رجل يبدأ اسمه بحرف « ج » ٠٠ ليس
كذلك ٠٠ ؟

ولم استطع الكلام ٠٠ وشعرت كأني سأختنق ٠٠
واستندت على طرف المائدة ٠٠ **وواصل الرجل حديثه :**
فى الواقع ان اسم الرجل الوساطة هو « جاجرز » ٠٠
واسم كاتبه هو « وميك » ٠٠ ليس كذلك ٠٠ ؟

واخذت رأسى تلف وتدور ٠٠ وكنت أنهارى
وأنا أحاول الجلوس على الأريكة ٠٠ وساعدنى الرجل
على الجلوس وركع على إحدى ركبتيه أمامى **وهو يقول :**
نعم يا « بيب » ٠٠ يا بنى العزيز ٠٠ لقد جعلت منك
« جنتلمان » حقيقيا ٠٠ أنا الذى فعلت كل هذا من
أجلك ٠٠ وعندما بدأت أكسب الملايين ، أقسمت أن
يذهب كل ما أكسبه اليك ٠٠ ثم عندما بدأت أكسب
المجبهات ٠٠ أقسمت مرة أخرى أن أحرم نفسى من
لذاذ الحياة لأوفر لك ما يساعدك على أن تستمتع بحياة
رغدة ٠٠

وبدأت ارتفعه خوفا منه ٠٠ كما لو كان قد تحول

الى وحش مفرس ولكنّه واصل حديثه بنفس
الهدوء والفرح : انك اعز على من ابن حقيقى يا ديب» ..
وكم من الليالى التى كنت اقصيها مفكرا فيك فى وحدتى
البعيدة .. وعندهما كنت اتناول طعامى فى تلك العزلة
بعد الانتهاء من عملى فى رعى الغنم .. كنت اتخيل
وجهك الصغير عندما كنت طفلا .. وانت تنظر الى
عندما كنت اتناول الطعام والشراب الذى احضرته الى
فى المستنقعات .. ولذلك اقسيت مرة اخرى على ان
اجعل منك « جنتلمان » .. وهانذا قد نجحت فى
ذلك ..

واخذ ينظر بفرح الى السجاجيد الشرقية .. والى
اللوحات الجميلة المعلقة على الحوائط .. والى ملابسى
الانيقة .. والى جوهرة الياقوت فى خاتم اصبعى ..
والى الكتب المرصوفة على الرفوف ..

ولم انطق بكلمة واحدة .. ربما لانى كنت عاجزا
عن الكلام .. وواصل الرجل حديثه : لقد حققت بعض
النجاح والشهرة فى « نيوساوث ويلز باستراليا » ..
رغم ان بعض الناس كانوا يعايرونى بالماضى حين كنت

سجيناً ٠٠ ولكنى لم أكن أهتم بذلك ٠٠ كنت على
يعني باني امسك « جنتلمان » عطيما مسك ٠٠ اعطى
وارعى من اى واحد فيهم ٠٠ وكنت احتمل كل شئ ،
على امل واحد ، هو استطاعنى أن أعود فى يوم ما لكى
اراك واحابلك لاعرفك بنفسى ٠٠ !

ووسط كل احساسه بازهو والفقر وهو يقول
هذا الكلام ٠٠ لم يلحظ الرجل مدى الاحساس بالرهبة
الذى أخذ يعصف بنفسى ٠٠ ولا مدى اليأس والسقاء
الذى كان يمزق قلبي وأنا أنصت الى حديثه ٠٠
وأخيرا سألنى وهو يتنهد : والآن يا بنى العزيز ٠٠
أين يمكننى أن انام ٠٠ بعد أن قمت بتلك الرحلة
الطويلة التى تحيطها المخاطر ٠٠ ؟

واستعدت صوتى وقدرنى على الكلام وفلت
مسنسلا : يمكنك أن تنام على سرير زميل الغائب ٠٠
ولكن ماذا تقصد بالضبط بكلمة « مخاطر » ٠٠ ؟

فقال بهدوء وبساطة : ان السلطات ستنفذ فى
حكم الإعدام شتىا ٠٠ لو اكتشفت أبى قد عدت الى
لندن ٠٠ !!



وتبددت الأحلام في لهيب المدفأة

وعلى الفور أسدلت جميع الستائر ، وادخلته
الى حجرة « هريبت » وأنا أشفق عليه لمجازفته الجرئية
واستعداده للتضحية بحياته لكى يرانى .. وأشفق
إيضا على نفسى .. لأنى لم أستطع أن أشعر نحوه
بأى قدر من التعاطف ..

وقبل أن أغادر الغرفة سألته : وهل قمت وحدك
بهذه المجازفة أم ساعدك فيها شخص آخر .. ؟
فقال مندهشا : لا يا بنى العزيز .. لقد قمت بها
وحدى .. !

وهكذا تبددت جميع أحلامى وتصوراتى السابقة
فى حكايتى مع « ستلا » .. وهكذا تبين لى أن خطة
الآنسة « هافيشام » لزوجى من « ستلا » كانت وهما
مفعما واكذوبة كبرى أقنعت بها نفسى دون أساس ..
وهكذا تبقت من حقيقة مركزى بالآنسة « لستلا » ..
لم أكن أكثر من مرافق مفيد لها .. تلعب بعواطفى
بقسوة تعلمتها من المرأة العجوز ..

وظللت أتامل النار الخابية فى المدفأة ، حتى
ظهر نور الصباح .. وأنا أشعر بمنتهى اليأس وخيبة
الأمل ..



بیب یزورہ بان خالہ یزورہ

الفصل الثاني عشر

مساعدة آييل ماجويتش

« آييل ماجويتش » هو اسم السجين الهارب . .
المحسن الذي تبرع لى بكل هذه الأموال . . وكان قد
تعرف على « مستر جاجرز » المحامى حين كان هذا الأخير
ينولى الدفاع عنه فى قضيته . . وقد بذل « مستر
جاجرز » جهده فى الدفاع عنه حتى انقذ عنقه من حبل
المشنقة بشرط واحد هو أن يهاجر من إنجلترا الى
الأيدي ويعيش فى « نيو ساوث ويلز باستراليا » بقية
حياته .

ولكن عودنه الى إنجلترا خلقت الكثير من
المشاكل . . وقد رأيت أن أحل هذه المشاكل واحدة
وراء الأخرى . . بادئا باخطار صاحبة « خان بارنارد »
بأن هذا الرجل هو خالى وقد حل ضيفا على لعدة



ماجويش يصر على اعطاء النقود لبيب

أيام .. أما بالنسبة لقرب عودة « هريرت » من رحلته ،
فقد كان من اللازم أن أبحث عن سكن آخر مناسب
لاختفاء « ماجويثس » ..

وفى صباح اليوم التالي ، تناول في افطاره كمية
كبيرة من الطعام باستمتاع واضح ، ثم جلس على
الأريكة وأشعل غليونه بعد أن حشاه بطباق أسود
كزيره الرائحة .. وبعد أن دخن بضعة أنفاس قال
باتيياح : « بيب » .. لابد أن تشتري لنفسك عربة
وخيولا تجرهما ، وأن تستأجر سائقا خاصا يقودها
لك ..

وأخرج من جيوب معطفه حافظة جلدية كبيرة
منتفخة بالنقود ووضعها أمامي على المائدة **وهو يقول** :
اليك بهذه النقود كلها .. وهناك نقود كثيرة غيرها ..
ولك أن تنفقها فيما تراه وكيفما تهوى .. إن قمة
سروري أن أراك تنفق « أموالك » بالطريقة التي تعجبك
« كجنتلمان » ..

فرفعت يدي معترضاً لأسكته .. **وقلت** : ليس
هذا هو ما يجب أن نتحدث فيه الآن .. إن علينا أولاً



جارجز يوكند قصة ماجويتش

أن تدبر طريقة تجعلك آمنا طوال فترة بقائك هنا ..
ولكن أريد أن أعرف أولا موعد رحيلك .. !

فنظر الى مندهشا وقال : لماذا يا بني العزيز ..
لقد جئت لأبقى بصفة مستمرة .. سأنتكر وأصبح
شعري وأضع على عيني نظارة طبية وأرتدى ملابس
انيقة .. وبهذه الطريقة لن يتعرف على أحد .. !
واقترحت عليه أن يتنكر في ملابس مزارع من
الريف .. لأن هذا المظهر يناسب لون بشرته أنتى
لوحثها الشمس .. فوافق ..

ولكن قبل أن أذهب لأشتري هذه الملابس ،
عرجت على مكتب « مستر جاجرز » اللبى ما أن رآنى
حتى تبادل النظرات مع كابه « مستر وميك » ..
ثم هب واقفا و**هللنى قائلا :** قل ما تريد بدون ذكر
أسماء .. !

ففهمت ما يقصده .. **وسألته :** حاضر يا « مسر
جاجرز » .. لقد جاءنى رائر من « نيو ساوث ويلز
باستراليا » .. وهو يقول أنه « المحسن » الذى وهبى
كل هذه النقود .. فهل هذا صحيح .. ؟!

فاجاب : هذا صحيح بالفعل ..

فقلت يائسا : لقد كنت اظن دائما ان الانسة « هافيشام » هي التي تحسن الى وترعاني .. ودد شجعتني أنت على هذا اظن الخاطيء ..

فاعترض « جاجرز » قائلا : لا .. لم أشجعك أبدا على ذلك .. وربما كانت الانسة « هافيشام » تشجعك على تصور هذه الفكرة الخيالية كنوع من التسلية ترضى بها عقلها المريض ..

الآن فقط نيقنت دون أدنى شك من أن « آيبل ماجويتش » هو نفسه المحسن الذي كان يهينني المال .. فأسرعت الى البيت ، واستأجرت له سكما مجاورا لسكنى .. واشتريت له بعض ملابس المراعين لينتكر فيها ..

وفي تلك الليلة .. نام على مقعده وهو في كامل ملابسه الجديدة .. وأخذت أنظر اليه وأنا مضطرب القلب مشتت الذهن .. وخيل الى أن أفضل حل لهذه المشكلة أن أجرى خارجا من الغرفة .. ومن الجيب .. ومن لندن .. بل ومن انجلترا كلها ..

ولكن لم يكن أمامي سوى أن انتظر عودة صديقي
« هربرت » من رحلته لتتدبر الأمور سويا وينصحني
بما أفعل ..

ولكن « ماجويتش » لم يسمح لي بأن أفشى سره
لصديقي « هربرت » قبل أن يراه ويتأكد بنفسه انه
محل ثقة .. وبالفعل فلم تمض نحو خمس دقائق
على حضور « هربرت » حتى أومأ لي « ماجويتش »
برأسه موافقا .. ولكنه أحضر نسخة قديمة من الكتاب
المقدس ، وطلب من « هربرت » أن يقسم على ألا يبوح
لأحد بأى من الأسرار التى سوف يسميها ..

وبعد أن عرف « هربرت » كل شئ .. خرج
« ماجويتش » الى سكنه المجاور .. وبقيت أنا
و « هربرت » .. وظللنا نتحدث الى ما بعد منتصف
الليل .. وشرحت لصديقي كل المشاعر التى تعتمل
فى قلبى ، وكل الأفكار التى تدور فى ذهنى .. الى
أن انتهيت الى اتخاذ قرار حاسم : لن أخذ من
« ماجويتش » هليما واحدا بعد الآن .. حتى بالرغم



هربرت يقسم على حفظ السر

من أنى غارق في انديون .. وليس لي ميل بعيش
منه .. سأرفض نقوده لأنها مملوكة لشخص مجرم ..
فهز « هربرت » رأسه **معتزضا وقال** : أنا أفهم
وأقدر حقيقة مشاعرك يا « بيب » .. ولكنك إن فعلت
ذلك فسوف تدمره نديرا .. لقد عاش حياته كلها
من أجلك .. وجمع أمواله كلها من أجلك .. واني
أعتقد أنه على استعداد أن يضحي بحياته ويسلم نفسه
للسلطات إذا رفضت أن تشتري العربة والخيول ..
وفرت الدموع من عيني **وقلت متفعلا** : لا
يا « هربرت » .. لن تستمر علاقتي به .. ولن أعتق
نقوده بعد الآن .. كل ما أريده وأتمناه هو أن يرحل
عني .. !

وهنا قال « هربرت » : إذا كنت لا ترغب في
تحمل مسئولية القبض عليه وإعدامه .. فلا بد أن
تقنعه وتحثه على مغادرة إنجلترا ..
قلت يائسا : لن يقبل ذلك ..
فقال « هربرت » : إذن .. فلا بد أن تسافر
معه .. !



ستلا تعلن خطة زواجها

فشعرت بالصدمة عندما فوجئت بهذا الرأي ..
ولكن « هيربرت » **واصل حديثه** : نعم .. سافر معه
الى الخارج .. وهناك تركه فى اى بلد آمن .. وتعود
الى انجلترا .. وسأدير لك وظيفة لنعمل معى فى
شركة « كلاريكار » ..

ورأيت أن هذا هو الحل الأمثل ..
وبينما كنت أدبر هذه الترتيبات كلها ، وصلتني
دعوة من « ستلا » للحضور اليها .. **وقالت بمتهى**
البرود : أنا فى طريقى الى الزواج فى اقرب فرصة ..
وانى أحذرك .. وانت تعرف ما أقصده ..
وعندما عرفت أن عريسها هو « بنلى درامل » ..
العنكبوت الكريه الذى ينثر اشمئزازى .. اعترضت
على هذا الاختيار بكل قوة ..

ولكن « ستلا » هزت كتفها باستخفاف **وقالت دون**
ادنى تقدير لاعتراضي : انها صفقة جيدة .. فهو غنى
واسع الثراء .. وأنا قررت أن أتزوجه .. !



يېپ يىچول يائسا

الفصل الثالث عشر

القاتلة ١٠٠!

بعد أن انتهى هذا الحديث المؤلم مع « ستلا » ٠٠
أخذت أتجول بلا هدف في شوارع لندن ٠٠ شقيا
تعيسا يمزق اليأس قلبي ٠٠

وبالرغم من أن حالي المالية لم تعد تسمع لي
بمواصلة التفكير في احتمال زواجي من « ستلا » ٠٠
الا أن احساسى بالمرارة قد فاق كل احتمال لأن
اختيارها قد وقع على « درامل » ذلك العنكوت الكريه
بالذات ٠٠ وحتى عندما قالت لي « ستلا » وهى تبسم
لي ابتسامتها الساخرة : « اياك أن تظن أنى سأجعل
منه زوجا سعيدا ٠٠ ! » فان هذا القول لم يسعدنى
أر يواسينى ٠٠



وميك لديه اخبار هامة

وعدت الى بيتي فى وقت متأخر .. وما أن فتحت الباب .. حتى فوجئت بشخص غريب يهب واقفا من المقعد المجاور للمدفأة .. كان يبدو كما لو كان قد أفاق من اعشاء النوم .. وفى لحظة ، تبينت انه « مستر وميك » الذى سرعان ما وضع اصبعه أمام شفثيه طالبا منى أن ألزم الصمت .. وأشار الى أن اقترب منه ..

قال هامسا : معذرة يا « مستر بيب » لهذه المفاجأة لقد أعطانى « مستر هربرت » المفتاح لانتظرك هنا .. لأقول لك بعض الأخبار الهامة .. ولكن بدون ذكر أسماء .. كما نعرف !

أسرعت نبضات قلبى ، وسألت هامسا : هل حدث مكروه .. ؟!

فقال « وميك » : نعم .. و .. لا .. !

فخلعت قبعتى ومعطفى على الفور ، وجلست بجوار « وميك » الذى بدأ حديثه بصوت خفيض : لعلك لاحظت أن « مستر جاجرز » المحامى له زبائن وعملاء



بیب یعلن خوفه عل ماجوینتش

من مختلف أنواع الناس .. ولكن أغلبهم ليسوا من الطبقات الرفيعة .. وبطبيعة الحال ، فإن شخصا مثله تأتيه أخبار لا يستطيع أنا أو أنت الحصول عليها .. لأن أغلبها يدور في المجتمعات الوضيعة أو يتردد بين أصدقائه من المجرمين ..

أوشكت أن أعترض على هذا التعليق .. ولكني آثرت الصمت لاستمع الى بقية الحديث .. **وواصل** « **وميك** » **كلامه** : واحد من هؤلاء الناس الذين يترددون على المجتمعات الوضيعة ، سمع اشاعة معينة فام بابلغها الى « مسنر جاجرز » .. اشاعة ينشرها شخص اسمه « كوهبايسون » .. مفادها أن في لندن الآن زائرا جاء من « نيو ساوث ويلز » .. ومن المتوقع أن يصل هذا الخبر الى السلطات في أية لحظة ..

شحب لون وجهي على الفور ، وشعرت بقشعريرة لبرد رغم قربي من نار المدفأة .. **وقلت وأنا أكاد أبكي** : لا يمكن .. لا يمكن أن يقبض عليه .. لا بد من عمل اى شيء .. !



وميك يخلر بيب

وقال « وميك » : هذا صحيح .. لذلك فقد اتفقنا
- أنا و « مستر جاجرز » - على أن أقوم أنا و « مستر
هربرت » بنقل هذا الزائر من سكنه المحاور ، الى
سكن آخر فى بيت يطل على النهر .. وقد تصور
« مستر جاجرز » انك ربما تكون موضوعا تحت
المراقبة .. أو أن شخصا ما قد يتتبع خطواتك حتى
يمكنهم التعرف على مكان هذا الزائر .. ولذلك فقد
تم نقل الزائر فى غيبتك .. وهذا أفضل .. ولكن ..
لا بد من اتخاذ بعض الترتيبات الأخرى ..

فقلت : أعرف ذلك .. لا بد من نقله الى خارج
لندن .. لقد فكرت فى ذلك .. بل وسأسافر معه
الى الخارج اذا لم يقل أن يسافر وحده ..

وقال « وميك » : عظيم .. ولكن هذه الترتيبات
لا بد أن تتم بأقصى سرعة ممكنة .. ولا بد أيضا من
وضع الخطط المحيطة لكى يتم التنفيذ بدقة وفى أمان
.. ان « مستر جاجرز » يصر على ذلك .. وسيظل
على اتصال بك للتنفيذ فى الوقت المناسب .. وهناك
شئ آخر على درجة كبر من الأهمية .. بحسب ألا تذكر

اسم « كومبايسون » امام الزائر باى شكل من
الاشكال .. لان الزائر لو عرف ان « كومبايسون »
هذا موجود هنا فى لندن ، فسوف يتعقبه ولن يتركه
الا بعد ان يقتله .. !

وبعد انصراف « وميك » .. جلست امام المدفأة ..
اتأمل شعلات اللهب .. وأنخيل الكيفية التى يحب ان
يتم بها تهريب « ماجويتش » الى الخارج .. واحلطت
فى ذهنى الأفكار والخطط ..

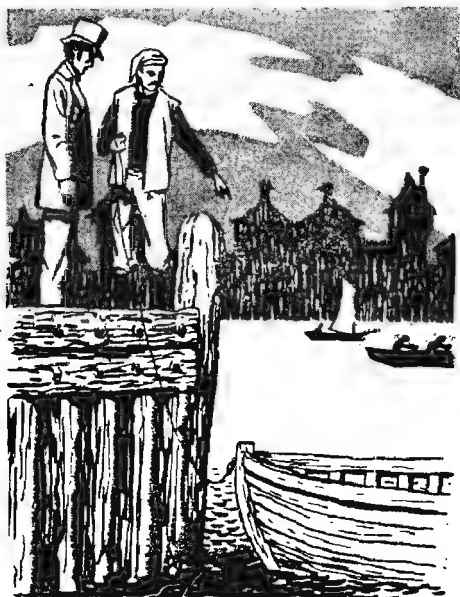
وقطع جبل أفكارى وصول « هربرت » الذى حا-
بوا من عند حبيبته « كلارا » التى نفسى مع ابى
المريض المتقاعد فى بيت يطل على النهر .. حيث
يجلس الأب العجوز أمام النافذة لينفرح على السفن
القادمة والسفن المغادرة ..

وهنا طرأت فى ذهنى فكرة نوهجت من البرق .
فقلت « لهربرت » : هذا هو البيت المناسب .. منه
نستطيع ان نركب قارباً يوصلنى انا و « ماجويتش »
لاية سفينة مسافرة الى الخارج .. وهناك بعض
قباطنة السفن على استعداد لعمل اى شىء مقابل

الحصول على نقود .. ودون أن يسألوا أى سؤال ..
و«حمس» هريوت « لفكرنى على الفور . وأضاف
اليها فكرة جديدة فقال : اذن .. يجب أن تشتري
قارباً نضعه قرب البيت .. ويجب أن نقوم - أنا وانت
- بالتجديف لنتجول فى النهر كل يوم حتى يعتاد
الناس على رؤيتنا فى هذا القارب .. الى ان يحى،
اليوم المحدد للهرب .. فنركب القارب كالصناديق ..
وتتم العملية دون أن نلفت نظر أحد ..

وفى اليوم التالى اشترى قارباً وبدأنا التمرن على
التجديف بطريقة صحيحة .. وفى البداية لم نستطع
أن نواصل التجديف الى وقت طويل فقد كانت عضلاتنا
فى حاجة الى التليين حتى تعتاد عملية جذب المجذاف ..
وأعدت فع « هريوت » حافظة النقود التى تركها
« ماجويتش » فى بيتى ، وطلبت منه تسليمها اليه ..
ثم قررت بعد ذلك أن أزور « ماجويتش » فى مقره
الجديد .. فسلكت طرقاً جانبية كثيرة لتضليل أى
شخص يتعقبنى ..

وعندما وصلت الى البيت .. رأيت « كلارا برلى »



بیب یشتری قاربا •

لأول مرة ٠٠ كانت فناء حلوة ذات وجه مسندير جميل
التقاطيح ٠٠ وهنات « مربرت » على حسن اختياره ٠٠
فأحسن بسعادة غامرة وهو يسمع ناثي على جيبته
« كلارا » ٠٠

أما « ماجويتش » فلم يتقبل بسهولة فكرة نقله من
ممسكنه السابق واسكانه في هذا البيت الذي يطل على
النهر ٠٠ وكذلك فقد أقنعته بصعوبة بأن الوقت الآن
غير مناسب لشراء العربدة والخيول حتى لا تلفت أنظار
الناس ٠٠ ولكنه اعترض بشدة على فكرة نهريه إلى
خارج لندن ٠٠ إلى أن أفهمه بأنني سأكون في صحبته
في تلك الرحلة ٠٠ وعندئذ فقط استسلم ووافق على
كل شيء ٠٠

وطوال وقت الزيارة ، كان « ماجويتش » يمسك
يدي بكلتا يديه ويحنان بالغ ٠٠ ولم يتركها إلا بعد
انتهاء الزيارة وتأهبى للانصراف ٠٠ وبطبيعة الحال،
لم أعبر له عن نيتي في تركه في أي مكان آمن خارج
انجلترا ٠٠ والعودة بعد ذلك وحدي ٠٠ !



بیب بیع بعض جواهره

وساءت حالتي المالية الى أقصى حد .. فاضطررت
سددت الى بيع بعض مجوهراتي .. ومع ذلك فان نمن
البيع لم يكن كافيا للوفاء بجميع التزاماتي .. ولذلك
فقد قررت أن أنخذ خطوة جريئة ، وأن كسب لا أمل
كثيرا في نجاحها .. قررت اللجوء الى الأسسه
« هافيشام » لاقناعها بدفع الحصة المتبقية المصوص
عليها في العقد الذي أبرمته مع « كلاريكار » لصالح
« هيرت » ..

وقبل أن أذهب الى محطة عربات السفر .. عرحت
الى مكتب « مستر جاجرز » لأطلعه على تلك الخطه
التي دبرتها لتهريب « ماجوينش » فوافق عليها
ولكنه أضاف : لا تكن قلقا الى هذا الحد .. اطمئن ..
فان خير مكان للاختباء .. هو مدينة كبيرة واسعة مثل
لندن ..

وما أن أوشك حديثي مع « مستر جاجرز » على
الانتهاء ، حتى دخلت الخادمة « موللي » وهي تحمل
صينية عليها غداء ساخن .. ووضعتها على مائدة
صغيرة .. وقد لاحظت أن « موللي » كانت تخفض
راسها وتنظر دائما الى الأرض ..



بيب يلاحظ الشبه الشديد

ولكن عندما نهضت من مقعدى متأهباً للانصراف ..
اصطدمت يدي بحافة الصينية فاهتزت، وسألت بعض
الشوربة على مفرش المائدة .. فرفعت « مولى » رأسها
ونظرت الى بغضب .. ورغم أن تلك النظرة لم تستمر
أكثر من ثانية واحدة .. إلا أنى قد صعقت .. فقد
كان هناك شبه تام بين نظرات عينيها الغاضبة ،
ونظرات عيني « ستلا » حين تغضب .. نفس الأنف
.. نفس الخدين .. كل ملامحها مطابقة تماماً للملامح
« ستلا » !!

وقبل انصرافى من مكتب « مستر جاجرز » قابلت
« مستر وميك » فى المكتب الخارجى .. وانتحيت به
جانبا وسألته : من هى « مولى » ؟ .. !

فقال هامسا : قائلة .. انها فاتلة .. كان
« مستر جاجرز » يتولى الدفاع عنها وحصل لها على
حكم بالبراءة .. كانت غيرتها على زوجها هى السبب
فى الجريمة التى ارتكبتها .. وقيل أيضا أنها قتلت
طفلتها !



مولیٰ تخنق منافستها

الفصل الرابع عشر

النار ١٠٠!

وبينما كانت عربة السفر تقطع الطريق الى بيت
الآنسة « هافيشام » ٠٠ كنت أفكر بعق في القصة
التي اهتمنى عليها « وميك » ٠٠ فالخادمة « عوللى »
تسمى من بعيد الى اصل « عجرى » ٠٠ لذلك نجري في
عرونها بعض الدماء الحارة ٠٠ وعندنا بصورت أن
روحها يخربها مع امرأة أخرى ٠٠ خنم تلك المرأة على
العور ٠٠ ويقال انها لكى تنتقم من زوجها فانها قامت
بقس انتبهه مه ٠٠

ولكن هذا غير صحيح ٠٠ فمارالت انتبهه بعس



الآنسة هافيشام تكتب الرسالة

حياة ٠٠ انها « ستلا » بنفسها ٠٠ ان الشبه تام بين عينيها وعيني ابنتها ٠٠ « مولي » اذن هي أم « ستلا » لا شك في ذلك ٠٠ ومن المحتمل انها وضعت نفسها في خدمة « مستر جاجرز » طوال هذا الزمن لانه انقذ ابنتها من الفقر والضياع ٠٠ !

وعندما قابلت الآنسة « هافيشام » لاحظت انها أصبحت أكثر عجزا وضعفا من ذي قبل ٠٠ ومع ذلك فقد أنصتت بهدوء وأنا أشرح لها المساعدة التي قدمتها سرا لمعاونة « هربرت » على شق طريقه في الحياة ٠٠ وسوء حالتي المالية التي لا تسمح لي الآن بتسديد الحصة المتبقية والتي حل موعدها طبقا للعقد ٠٠

وأخبرتها بأنني في حاجة الى تسعمائة جنيه حتى أستطيع الوفاء بهذا الالتزام ٠٠

طلت الآنسة « هافيشام » تنظر في نار المدفأة وهي تستمع الى هذا الطلب ٠٠ ثم قالت بصوت حالم وكأنه يأتي من بعيد : ان « هربرت » يستحق العون ٠٠ ان أباه « مانير بوكيت » قسم الى في يوم ما نصيحة

غالية ٠٠ ولكنى للأسف لم آخذ بها ٠٠ ففقدت سعادتي
وعشت حياة تعسة شقية ٠٠ لبنتى استمومت الى تلك
الصبيحة الغالية ٠٠ !

ثم استدارت نحوى **وقالت بعده** : اذا أعطيتك هذه
النمود ٠٠ فهل عدنى بأن يظل هذا السر خاميا على
كل من « هربوت » وأبيه ٠٠ ؟

فوافقت. راعطينها وعدا بذلك. فكتبت خطابا الى
« مسر جاجرز » ليعطينى هذه النقود من حسابها ٠٠
فأخذت الخطاب وشكرتها على كل شئ، ٠٠

وعندما هممت بالانصراف ٠٠ **نادتني بصوت**
مرتفع : « بيب » ٠٠ هل ترى كم أنا وحيدة الآن ؟
هل ترى كيف هجرتنى « ستلا » ٠٠ ؟

فاجبت بهلوه : كان لا يمكن أن ينتهى الأمر بغير
هذه الطريقة ٠٠ !

وكننت قد كسنت عن قراءة الصحف فى الفترة
الماضية ، حتى لا أصدم بقراءة أى خبر عن موعد زفاف

« ستلا ، ٠٠ ومع ذلك فقد سالت الأنسة « هافيشام »
مترددا : هل تم الزواج ٠٠ ؟

قاومات برأسها وقالت بحسرة : نعم ٠٠ !

وفي الحال تبدى الألم فى ملامح وجهى ٠٠
وأحسست بأن قلبى يتمزق فى صدرى ٠٠ ومع ذلك ،
فقد لاحظت أن الأنسة « هافيشام » أخذت تلهت
وتشهد ٠٠ وسقطت عصاها من يدها ٠٠ وقالت بصوت
يرتضى : ارى فى وجهك الآن يا « بيب » ٠٠ نفس
مشاعر الألم التى تبدت فى ملامح وجهى منذ سنتين
طويلة ٠٠ فى الساعة التاسعة الا عشرين دقيقة ٠٠ !

وخأت وجهى بين يدى ٠٠ حتى أستعيد رباطة
جأشى ٠٠ وظلت الأنسة « هافيشام » تنوح ونبكي
بحرقه ٠٠ وتهز رأسها بحركة دائية بمنة وبسرة ٠٠
وتقول والندم يعصر قلبها : ما هذا الذى فعلت ٠٠
ما هذا الذى فعلت ٠٠ ؟

واوشكت أن أقول لها أنها خربت حياتى وحطمتنى



انگسز قلوبی بسبب زواج ستلا

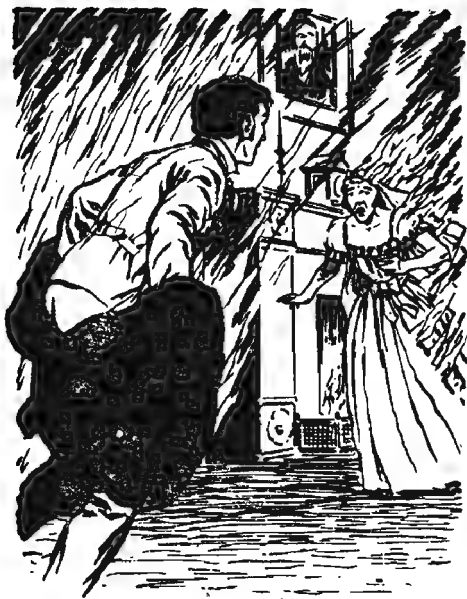
.. ولكنى امتنعت لأن ذلك لا يبدو أن يكون نصف الحقيقة .. أما النصف الآخر فيتمثل فى الأخطاء الجسيمة التى ارتكبتها بنفسى .. رضى الألام القبيحة التى كانت تدور فى خيالى .. وفى الطموجات السخيفة التى كنت أنطلق اليها .. وفى الآمال العديدة الحمقاء التى كنت أسميها الآمال الكبرى ..
ولكنها مدت الى يديها المرتعشتين .. وقالت متوسلة والدموع تطفر من عينيها : سامحنى يا « ييب » .. أرجوك .. سامحنى !

وأمسكت بيديها وقلت : لقد سامحتك وغفرت لك !
فقالت وهى تضيف على يدي راضية :
لم أكن أضمر شرا منذ البداية .. كنت أريد فقط أن أهيب ، « لسنلا » مستقبلا لا تعانى فيه ما عانيت .. ولكنها كلها كانت تكبر كانت تزداد جمالا .. وكنت أنسى على جمالها باستمرار .. وأعطيتها المجوهرات لتتزين بها وتزداد تألقا .. وكنت أحذرهما دائما من الوقوع فى الحب .. حتى أصبح قلبها جامدا كالثلج .. !



سامعنی یا بیب ... سامعنی :

وسحبت مفعدا وجلست جوارها.. وسألتها بهدوء :
من هي « ستلا » فى الحقيقة .. ابنة من هي .. ؟
فهزت رأسها وقالت : لا ادرى .. كانت مجرد فكرة
عابرة طرات فى ذهنى يوما ما .. قاتت لنفسى لماذا
لا اتبنى طفلة صغيرة لامتحها حبنى وأهمنى لها مستقبلًا
لا تلقى فيه مثل مصيرى .. وطلبت من « مسنر جاجرز »
أن يبحث لى عن طفله . فوعدنى بأن يحضر الى طفلة
يتيمنة .. وفى يوم ما جاء معه الطفلة التى وعد بها ..
كانت صغيرة لا تتجاوز العامين .. فتبنيته ..
وأطلقت عليها اسم « ستلا » ..
ثم سكنت طويلا .. وأغمضت عينيها وغلبها
النعاس .. ودخلت فى اغفاءة نوم خفيفة .. وهى
جالسة على مقعدها أمام المدفأة .. فسحبت نفسى
بهدوء وخرجت من الحجرة .. وهبطت درجات السلم
.. وتجولت قليلا عبر الممرات والردهات والحجرات
.. لاحتاسى بانى أشاهد هذا البيت لآخر مرة فى
حياتى ..
وفجأة .. دوت فى اذنى صرخة ملتناعة عالية ..



النار مشتعلة بثوب زفافها

بحريرت نحو مصدرها ٠٠ وصعدت درجات السلم
بسرعة ٠٠ فرأيت حريقا قد نشب نى حجرة الآنسة
« هافيشام » التى اندفعت نحوى ، والنفار ممسكة
بطرحها وياب زفافها ٠٠ فخلعت معطفى على الفور
ولففته حوليا لأطفئ النار المشتعلة بجسدها والتى
بدأت فى الامساك بشعر رأسها ٠٠ وكانت تردد فى
لوعة وأسى : قل لها لقد سامحتها ٠٠ أخبرها بأنى
قد غفرت لها ٠٠ !

وجاء الخدم وأحمدوا الحريق ٠٠ وأرسلوا فى طلب
الطبيب الذى جاء عاجلا ٠٠ وفحص الآنسة « هافيشام »
فوجدوها مازالت حية ولكنها فاقدة وعيها ٠٠

وبعد أن أسعفتنى الطبيب وضمد الحروق الشديدة
التي لحقت بيدي ٠٠ سمح لى بالانصراف ، وطلب
منى أن أواصل العناية بتلك الجروح حتى تلتئم ٠٠
وفى اليوم التالى ، عدت الى لندن ٠٠



مربوط بربط جروح بيب

الفصل الخامس عشر

أسرار من الماضي ..

كنت مازلت أعاني الصدمة الشديدة بعد أن وصلت الى بيتي في لندن .. وقام « هيرب » على الفور بإعادة ربط جروحي بأربطة نظيفة .. وكنت قادرا على تحريك أصابع يدي اليمنى برغم الأربطة . أما يدي اليسرى فقد كانت أصابتها بالغة ، لذلك فقد أمر الطبيب بأن تربط بعناية وأعلفها على صدري برباط يندى من عنقي ..

بالرغم من كل آلامى .. فقد كان على ان أقوم ببعض المهام العاجلة .. ولكنى أصبت بالحمى وارتفعت



بيب يدفع الحصة المتبقية ..

درجه حرارى ٠٠ ولذلك فقد أصر « هربرت » أن يقوم ببعض هذه المهام نيابة عنى ٠٠ فقام بإبلاغ والده وبقيه اقارب الانسة « هافيشام » بما حدث لها ٠٠ كما كتب رسالة الى « سلا » التى كانت آنشد فى باريس ، ليبلغها بالحادث ٠٠ وذلك بعد أن عرف عنواها عن طريق « مستر جاجرز » ٠٠ وكادت هناك مهام أخرى لا بد أن أقوم بها بنفسى ٠٠ لذلك فما أن استعدت بعض قواى حتى ذهبت الى مقابلة « مستر جاجرز » ، وأطلعت على الرسالة التى حررها الانسة « هافيشام » ٠٠ فحرر على الفور شيكا بمبلغ تسعمائة جنيه لصالح « كلاريكار » ٠٠ وأمر باستدعاء « مستر كلاريكار » لمقابلتى فى مكتبه ٠٠ وبعد أن حضر واستلم منى الحصة المتبقية من العقد الذى أبرمته معه ٠٠ وعدنى « مستر بلاريكار » بأن « هربرت » سيصبح على الفور شريكا كاملا بالشركة ٠٠ ولكنه قال مشروطا : ان على « هربرت » أن يسافر الى الشرق ، ليبنى ويدير أهم فروعا الخارجية ٠٠ لأن أعمالنا الملاحية قد ازدهرت واتسع نطاقها ٠٠

وبعد انصراف « كلاريكار » انتهى بي « مستر جاجر » جانباً ، وقال هامسا : بدون ذكر أسماء ..
لقد حان الوقت الآن للرائر اقادم من « نيو ساوث ويلز » لكي يغادر لندن ويرحل بعيدا . لان السلطات أوشكت ان تعرف مكانه ..

وما ان وصلت الى البيت ، حتى أبلغت « هربرت » بما قاله « مستر جاجر » .. ونظرنا نحن الانان الى ادربطة الملفوفة حول يدي .. وشعرنا باليأس .. فأنا لا أستطيع الآن أن أمسك بمجذاف القارب أو استخدامه ..

ولكن « هربرت » قال وهو يقترح حلا للمشكلة:
علينا أن نطلب المعونة من « ستارتوب » .. !

وكان « ستارتوب » هو ثالث الطلاب الذين كانوا يتعلمون لدى والد « هربرت » .. هو .. وأنا .. والعنكبوت الكريه « درامل » .. ولكن « ستارتوب » كان صديقا أميناً يمكن الاعتماد عليه والثقة فيه .. وقد وافق على ما طلبناه منه بلا تردد .

وبحذر شديد .. وبعد التأكد من أن أحدا

لا يتبعنا ٠٠ قمنا بزيارة « ماجويتش » لاختاره بأن
خطة الهروب أصبحت على وشك التنفيذ ٠٠ وأن عليه
أن يستعد ٠٠ وقد صدم « ماجويتش » حين رأى
الاربطة حول يدي ٠٠ وأخذ يهتم بجروحي وآلامى أكثر
من اهتمامه بأية تفاصيل تتعلق بخطة الهروب ٠٠٠
وقال لى موسى : آه يا بنى العزيز ٠٠ انى لا أهتم
الا بمصلحك وحدها ٠٠ أنت أعز عندى من ابن حقيقى
خرج من صلبى ٠٠ بل أعز من ابنتى التى فقدتها حين
كانت طفلة ٠٠

فقاطعه على الفور : ولكنك لم تحدثنى من قبل
بأنك قد أحببت طفلة ٠٠ أين هى الآن ٠٠ ؟
تنهد بعمق واسترخى على مقعده **وقال :** انها
قصّة رهيبّة ٠٠ ولكن ما دمت أنت و « هيرت »
بريدان أن تعرفا كل شىء عني ٠٠ فلا بأس أن أحكيها
لكما ٠٠ ولكن اسمح لى أولاً بأن أشعل غليونى ٠٠
وعباً غليونه بالطباق الاسود الكريه الرائحة
الذى كان يفضلّه **وبدا يحكى :** ٠٠٠ لقد نشأت دون
أن أعرف لنفسى أبوين ٠٠ كنت أعرف فقط انى عشت



ماجويش يفرع لاصابة ييب

أعنت حياتي في السجون .. فما أن أخرج منها حتى
أعود إليها .. وفي وقت ما منذ زمن بعيد .. تزوجت
من فتاة عجيبة .. صغيرة .. في الحقيقة كانت نصف
عجيبة .. وأنجبت طعمة صغيرة .. ولكن زوجني
هذه كانت حادثة الطباع .. فخنقت احدي النساء بعد
أن تأكدت من اني كنت معجبا بها .. !

وتوقف برهه عن الكلام .. وبدأ كما لو كان
يسخيل هاتين المرأتين اللتين كانتا تتنافسان على حبه
منذ سنوات طويلة .. ثم استعاد ذهنه **وواصل**
حديثه : لقد عصبت مني زوجتي أشد الغضب ...
وهددني بأنها سوف تعزل طفلتنا انقاما مني .. ثم
اختفت هي والطفلة قبل أن أفعل أى شئ .. وعلمت
فيما بعد بالمبض عليها وتقديسها الى المحاكمة بتهمة
قتل المرأة التي نافسها في حبي .. وكان « مستر
جارجز » هو المحامي الذي دافع عنها حتى حصل لها
على حكم البراءة .. وكانت هذه هي المرة الأولى التي
اسمع فيها اسمه .. يا له من محام بارع هذا الرجل
.. وكان على أن اختفى حتى لا أضطر الى الشهادة



وهمدته يقتل الطفلة

بأن زوجتي قد قتلت أيضا طفلتنا الصغيرة ٠٠٠ ومي
شهادة كان يستحيل معها أن يحصل «مستر جارجرز»
على حكم البراءة ٠٠ والإآن يا «بيب» ٠٠ هل عرفت
لماذا اعتبرك الابن الوحيد لي ٠٠؟!

ولحسن الحظ فإن جروحي كانت قد جعلت وجهي
شاحبا لدرجة لم يظهر معها أثر الشحوب الجديد
الذي نجم من سماعي هذه القصة الرهيبة التي زلزلت
أعماقي ٠٠ وجعلتني غير قادر على النطق بكلمة
واحدة ٠٠

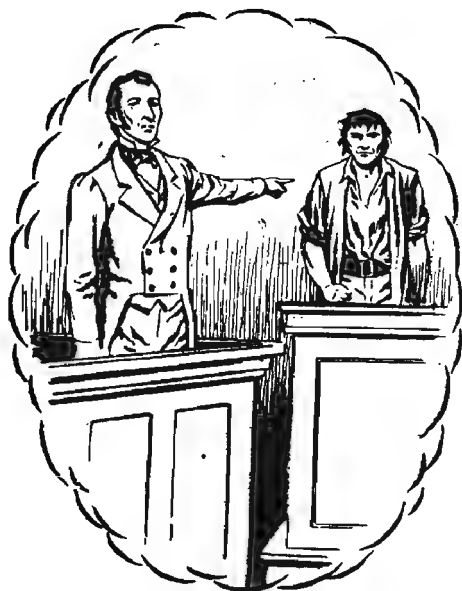
وأعاد «ماجويتش» اشغال غليونه من جديد
٠٠ وقال مواصلاً حديثه : ومع ذلك ٠٠ وبعد كل هذه
السنين فما عدت أحمل كراهية تجاه زوجتي أو أى
شخص آخر ٠٠ ولكنى أكره من صميم قلبي شخصا
واحدا فقط ٠٠ هو نفس الشخص الذي رأيته يابني
وأنا أضربه في حفرة الطين بمستنعمات «كنت» ٠٠٠
حين رأيته يا بني العزيز لأول مرة ٠

قال ذلك وهو يضغط على ركبتى ليذكرنى بهذا



• جاجروٲ ٲحصل على حكم ٲٲراٲٲها •

الموقف .. فاضطرت للابتسام موافقا .. رغم أن
رأسى أوشكت أن تنفجر بما يدور فيها من أفكار ..
وواصل « ماجويتش » حديثه : لقد استغلنى هذا
الرجل أسوأ استغلال .. كان يتظاهر بأنه « جنتلمان،
.. وكان يضع خطط الجرائم ويطلب منى تنفيذها ..
وبهذه الطريقة يظل هو آمنا .. بينما أواجه أنا المخاطر
والنتائج وحدى .. ثم استولى هذا الرجل على معظم
الأموال التى حصلنا عليها من جرائمنا .. وادعى انه
هو الذى خطط بعقله للحصول على تلك الأموال ...
وانه صاحب الفضل الأول فى ذلك .. أما جراتى أو
قوة عضلاتى فلا أهمية لها .. ويمكنه أن يستخدم
أى شخص آخر بدلا منى .. وعندما قبض علينا
معا . شهد ضدى فى المحاكمة .. بل وقال أنى كنت
أحرصه على ارتكاب الجرائم .. وقد صدقته المحكمة
عندما فارتت بين مظهرى الاجرامى الرث ، ومظهره
النظيف المأنق .. ولهذا السبب حكموا بسجنى ..
وأطلقوا سراحه .. فأتسمت أن أنتقم منه .. وعندما
خرجت من السجن سألت ويبحث عنه فى كل مكان
.. وأخبرتى زوجته انه متفرغ لخداع احدى النساء.



کومپایسون یشهد ضد ماجوریتش

الثريات فى منطقة « كنت » ٠٠ فذهبت الى هناك
فورا لاتعقبه ٠٠ ولعلك تذكر يا « ييب » أنه كان
فى امكانى أن أستعيد حريتى بعد أن كسرت قيدي
الحديدى مستعينا بالمبرد الذى أحضرته لى ٠٠ ولكنى
أمسكت به فى المستنقعات ٠٠ حتى لا أمكنه من الهرب
وأعيدته الى السجن مرة أخرى ٠٠ انى لا أكره أحدا
فى الدنيا قدر كراهيتى لهذا الرجل الذى يسمى
« كومبايسون » ٠٠ !

وما أن سمع « هيربرت » اسم « كومبايسون »
حتى انتفض مندهشا ٠٠ ولكنه لزم الصمت ولم يتكلم
٠٠ وبعد أن انتهت زيارتنا « ماجويتش » وخرجنا
الى الشارع حتى بدأنا - أنا و « هيربرت » - فى الكلام
فى وقت واحد ٠٠ ولكن لأن صوتى كان أعلى من صوته
فقد بدأت الكلام قبله ٠٠ وأبلغته بالمعلومات التى
حصلت عليها من « وميك » بخصوص قصة الخادمة
« مولى » ٠٠ وربطت بينها وبين القصة التى حكاهنا
لنا « ماجويتش » ٠٠ **وقلت فى النهاية :** اذن ٠٠٠
فان « ماجويتش » هو بعينه والد « ستلا » ! ٠٠٠



يهمبر وهيرت يتبادلان الحديث

ولكن ما هي القائمة من اعلان ذلك ؟!!

موافقنى « هربرت » على هذا الاستنتاج . . .
وأقسمنا معا على أن نحفظ بهذا السر لأنفسنا ولا نخبر
به أحدا . . ثم قال « هربرت » : ولكن هذا الرجل
الذى يسمى « كومبايسون » .

فقاطعته على الفور : انه هنا فى لندن . . ولكن
لايد من اخفاء هذا الامر عن « ماجويتش » . . وهذا
هو السبب فى انى لم أشر اليك من قبل باسم
« كومبايسون » بعد أن عرفت عن طريق « مستر
وميك » .

وقال « هربرت » فى النهاية : كنت اريد أن أقول
لك . . أن « كومبايسون » هذا . . هو نفس الشخص
الذى أحبته الآنسة « هافيشام » وكان سببا فى
مأساتها .

EAMSHIP CO
OF ENGLAND



البحث عن سفينة اجنبية

الفصل السادس عشر

التجديف الى الحرية ٠٠

قررنا تنفيذ خطة الهرب يوم الاربعاء ٠٠ وفى يومى الاثنين والثلاثاء ٠٠ ذهبت مع « هريبرت » الى بعض الشركات الملاحية لمعرفة جداول ابحار السفن الأجنبية المتوجهة الى الخارج يوم تنفيذ الخطة ٠٠ وانفقنا مع سفينة مسافرة الى « هامبورج بألمانيا » ٠٠ وشاهدنا تلك السفينة وهى راسية على الرصيف حتى نحفظ شكلها ونتعرف عليها بسهولة عند تنفيذ الخطة ٠٠

وتتلخص الخطة التى رسمناها فى قيامنا بالتجديف حتى نصل بقاربنا الى بيت « كلارا » ٠٠٠ وهناك ينتظرنا « ماجويتش » ٠٠ وبمجرد أن يرانا قادمين نحوه ، فعليه أن يهبط فوراً عبر الدرجات الحجرية المبنية على الشاطئ حتى يصل الى قاربنا ويركب معنا ٠٠ وعندئذ نواصل التجديف حتى نصل

الى مكان مناسب لانتظار الباخرة المتجهة الى «هامبورج»
لتنلقطني أنا و «ماجويتش» الى ظهرها .

وقد وضعنا الخطة على أن يقوم كل من «هربرت»
و «ستارتوب» بالتجديف ، وأن أمسك أنا بدفة
القارب . . . وبطبيعة الحال فاننا لم نخير «ستارتوب»
بكل أبعد القصة . . . وإنما أخبرناه فقط بأننا نريد
أن نشركه معنا في أحد أسرارنا البسيطة ، التي وجدنا
أنفسنا مضطرين للاشتراك فيها .

وبينما كنت أنهى اجراءات جوازات السفر
بمكتب «مستر جاجرز» ، تولى «هربرت» ابلاغ كل
من «ستارتوب» و «ماجويتش» بالاستعداد . . . وفي
حقيقة الأمر كنا - أنا و «هربرت» - في غابة الاضطراب
. . . وكنا نشعر بأننا موضوعان تحت المراقبة بالرغم
من أننا لم نر أحدا يراقبنا أو يتتبع خطانا . . .

ويوم الأربعاء الموعد . . . كان أحد أيام شهر
مارس التي يختلط فيها حر الصيف ببرد الشتاء . . .
ولذلك فقد ارتدينا ملابس ثقيلة ، وأخذت معي حقيبة
متوسطة الحجم بها بعض أدوات الزينة وبعض غيارات
الملابس .

وفى تلك اللحظات لم أكن أدري ما هذا الذى
أفعله .. ولا الى أين أنا ذاهب .. كنت لا أفكر
فى أى شئ سوى توفير الأمان « لماجويتش » .. وقبل
أن أغادر شقتى ، ألقيت نظرة أخيرة على الحجرات ..
فمن يدري .. ربما لن أرى هذه الحجرات بعد ذلك
أبداً .. ؟!

وكان « ستارتوب » ينتظرنا بالقارب .. وبدأنا
الإبحار فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً .. وماهى
الا لحظات حتى أصبحنا جزءاً من الحركة النشيطة التى
تدب على سطح النهر .. حيث توجد الكثير من
الصنادل التى تحمل شحنات القمح .. والعديد من
البواخر القادمة والمغادرة .. وقوارب صيد الأسماك
.. وقوارب أخرى مماثلة لقاربنا مملوءة بمسافرين
الناس الذين يقصدون النزهة أو يرغبون فى ممارسة
رياضة التجديف .

وكان علينا أن نجذف مع تيار المد حتى الساعة
الثالثة عصراً .. ثم نستمر بعد ذلك فى التجديف
ضد التيار حتى موعد حلول الظلام وعندئذ نكون قد



بیب یچہز حقیتہ

وصلنا منطقة تقع بين مقاطعة « كنت » ومقاطعة
« اسكس » حيث يتسع مجرى النهر وتقل فيه الحركة
.. ثم نقضى الليل في احدى الحانات النائية حتى
صباح اليوم التالى .. فنعود الى القارب مرة أخرى
لننتظر الباخرة المتوجهة الى « هامبورج » التى اتفقنا
معه .. والتى كان من المفروض أن تفادر لندن فى
الساعة التاسعة تماما من صباح يوم الخميس .
وعندما كنا نجدف فى طريقنا الى بيت « كلارا »
.. رأينا « ماجويتش » وهو يهبط درجات السلم
الحجرى متجها نحونا .. كان يرتدى عباءة واسعة ،
ويحمل حقيبة سوداء من التيل .. وكان منظره
يوحي بأنه أخذ البحارة الذين يعملون بالسفن النهرية
.. وأمسك « هربرت » بيده ليساعده فى النزول
الى قاربنا .

وفى الحال ، وضع « ماجويتش » ذراعه حول
كتفى وقال : يا بنى العزيز المخلص .. لقد تم كل
شئ على نحو حسن .. شكرا لك .. شكرا لك .. !
فضطت على يده .. وثقلت بعصبية لأنظر هنا



ماجويش يتهيا لركوب القارب

وهناك حتى أتأكد من عدم وجود أى أحد كان يراقبه
أو يتتبع خطاه .. وبدأ كل شيء طبيعيا .. وعلى هذا
واصلنا التجديف .. وأشعل « ماجويتش » غليونه
.. وكان أقلنا اضطرابا وأهدأنا أعصابا .

وعندما أدرخى الظلام سدوله .. رسونا بقاربنا
قرب حانة فقيرة منعزلة تطل على الشاطئ .. وكان
صاحب الحانة وزوجته يبدوان كما لو كانا من
المتشردين .. ومع ذلك فقد قدما إلينا عشاء طيبا
تناولناه على مائدة قرب المدفأة .

وكان كل من « هربرت » و « ستارتوب » الذى
عرف الآن كل أسرار خطة الهرب ، فى غاية التعب
والإرهاق لقيامهما بالتجديف طول النهار .. ولذلك
فسرعان ما غط كل منهما فى نوم ثقيل .

أما أنا فقد نمت فى نفس الغرفة التى نام فيها
« ماجويتش » .. كنت حريصا على ألا يغيب عن
نظري .. ونمت نوما متقطعا رغم احساسى بالتعب
والإرهاق .. واستيقظت فرعا عدة مرات أثناء الليل
.. وكان يخيل الى انى كنت أسمع أصوات رجال



تناول العشاء بالهانة المنعزلة

يتكلمون ٠٠ وفى آخر مرة ٠٠ سمعت بالفعل ضوت
رجلين يتحدثان عند النهر ، ففتحت النافذة يحذر
وظلمت ٠٠ فرأيت رجلين يقومان بتفتيش قاربنا
المربوط بالشاطئ ٠٠ وعندما لم يسفر التفتيش عن
شيء ، انصرف الرجلان دون أن يلقيما أية نظرة على
الحانة ٠٠ وخمنت أن الرجلين من مفتشى الجمارك .

وفى صباح اليوم التالى نهضنا مبكرين ، وعدنا
الى القارب ٠٠ وجدفنا حتى وصلنا الى منطقة مستترة
بجانب الشاطئ ٠٠ وهناك توقفنا لانتظار البخرة
المتوجهة الى « هامبورج » ٠٠ وفى الساعة الواحدة
والنصف بعد الظهر ، ظهر لنا دخان البخرة وهى
قادمة نحونا .

وفى الحال ، بدأنا - أنا و « ماجويتش » - نستعد
٠٠ وحمل كل منا حقيبته ٠٠ وسلمت على « ستارتوب »
وعلى « هربرت » ٠٠ حيث لاحظت أن عينيه مثل
عينى مفروقتان بالدموع .

وبدأنا نجدف حتى نصل قرب الخط الذى تسير



وظهر دخان الباخرة

فيه الباخرة ٠٠ وفى نفس الوقت بالضبط بدأ قارب آخر يتجه الى نفس الاتجاه حتى اقترب تماما من قاربنا ٠٠ وعلى هذا القارب رأينا رجلا يجذفون ، ورجلا يمسك بالدفة ، ورجلا آخر يجلس بجواره يلتحف بعباءة واسعة ويصدر أوامره وتوجيهاته للرجل الذى يمسك بالدفة -

ونادى علينا الرجل الذى يمسك بالدفة : معكم سجين مطرود من إنجلترا ولا يجوز له العودة اليها ٠٠ وأنا أمر « آيبل ماجويتش » بأن يسلم نفسه بلا مقاومة ٠٠ وعليكم أن تساعدونا فى اعتقاله والقبض عليه ٠٠ !!

وهنا كان القارب الآخر قد سد الطريق تماما امام قاربنا ومنعه من الحركة ٠٠ ثم امتدت الايدي وأمسكت بقاربنا وسيطرت عليه تماما ٠٠ وقد تسبب هذا الموقف فى حدوث ارتباك على ظهر الباخرة حيث سمعنا اصواتا تدعونا ٠٠ واصواتا اخرى تأمر بايقاف ماكينات الباخرة ٠٠ وقد توقفت الماكينات بالفعل ولكن الباخرة مع ذلك ظلت تتقدم نحونا ٠



ماجويش يفتز علي كومبايسون

وئى هذه اللحظة انجنى الرجل الذى كان يوجه
الدفة نحو قاربنا ، ومد يده وأمسك « ماجويتش »
من كتفه .. ولكن « ماجويتش » انحنى بدوره ومد
يده ونزع العباءة عن الرجل الذى كان يصدر الأوامر
والتوجيهات .. كان هو نفس السجين الهارب الثانى
الذى قابلته فى طفولتى فى مستنقعات « كنت » ..
كان « كومبايسون » بعينه .. !

وتبدى الفزع الشديد على وجه « كومبايسون »
الذى تراجع الى الخلف من شدة الخوف .. ولكن
« ماجويتش » ففر من قاربنا الى القارب الآخر لكي
ينقض على « كومبايسون » .. ولكن هذه الحركة
العنيفة المبالغتة أدت الى اهتزاز القاربين بشدة ، وفى
لحظة ، انقلب قاربنا بين فيه .. !

وانتشلونى من الماء ورفعونى الى القارب الآخر
.. ثم انتشلوا « هريرت » ثم « ستارتوب » ..
ونظرت ملهوفاً لأطمئن على « ماجويتش » فرأيتة يسبح
بضعف شديد ويقاوم الفرق .. فرفعه الرجال الى
قاربهم .. وقاموا بتكتيف يديه وقدميه ..
وهكذا بدأت خطة الهروب بفشل ذريع .. !



جرح ماجوینش جروحا خطيرة

الفصل السابع عشر

يا بني العزيز ١٠٠!

كان « ماجوتيش » يتنفس بصعوبة بسبب جرح
خطير في صدره وجرح آخر برأسه ٠٠ وقد أصيب بهما
بعد أن صدمته البأخرة التي كنا ننوي الهرب على
ظهرها إلى « هامبورج » ٠٠
واحتضنته بين ذراعي ٠٠ وبأنفاس لاهثة
مقطعة ٠٠ أخذ يحكى لنا كيف هجم على « كومبايسون »
والفاه كئى الماء ٠٠ وكيف تصارع الرجلان إلى أن
انتشلوه وحده دون أن يعرف ماذا حدث « لكومبايسون »
وظللنا ندور بالقرب من آخر منطقة شوهد فيها.



جميع ممتلكاته ستصادر طبقا للقانون

« كومبايسون » حيا .. ولكن بلا جدوى .. فقد
اختفى .. وظهرت جنته على الشاطئ فيما بعد ..
وفي أثناء عودتنا بهذا القارب الى لندن ..
عرجنا الى إحدى الحانات المطلة على النهر لاستراحة
قصيرة .. وطلبت من الضابط - وهو نفس الرجل الذي
كان يدير دفة القارب وأصدر لنا أمرا بالتوقف -
بأن اشترى بعض الملابس « ماجويتش » بدلا من ملابسه
المبتلة .. فوافق الضابط بعد أن أفهمني أن جميع
متعلقات السجن بما فيها ثوقه وملابسه المبتلة ، لابد
أن تسلم الى السلطات في لندن ..

ونظرا لعلمي بأن مثل هذا القرار سيحطم قلب
« ماجويتش » لذلك فقد قررت ألا أبلغه به .. وجلست
بحواره صامتا .. وأمسكت بيده لعل بذلك أشجعه
على تحمل الألم .. ولكنه ابتسم بحنان وقال : يا بني
العزيز .. كنت أعرف تماما أن عودتي الى انجلترا
تعتبر مغامرة غير مأمونة العواقب .. ولكني كنت
أريد أن أراك .. وقد رأيتك وصعدت بك .. ولهذا
فأني راض .. ومقتنع بأنك أصبحت قادرا على أن



جاجرز يدافع عن ماجویش

يعيش «كجنتمان» بدوني .. ولكن لا يجوز «لجنتمان»
مثلك أن تكون له علاقة بأمثالي .. ولكني أرجو أن
نحضر الى قاعة المحكمة ، ونجلس في مكان أستطيع أن
راك فيه .. أنا لا أريد أكثر من ذلك .. ١

بكيت من شدة التأثير **وقلت باصرار** : لا يا
«ماجويتش» .. لن أتخل عنك ماداموا يسمحون لي
بالتردد عليك لزيارتك .. سأبقى دائما الى جانبك ..
وسأكون مخلصا لك كما كنت دائما مخلصا لي .. !
وتشعرت بأن يده كانت ترتجف عندما كان يسمع
كلامي هذا .. وابتنسم في رضا .. ثم نام ..

ولم تستغرق المحاكمة فترة طويلة ، فقد كانت
نقضية واضحة .. وتولى «مستر جاجرز» الدفاع
عنه ، رغم أنه أبلغني بأن الأمر ميثوس منه ولا أمل
فيه .. وقدم «مستر جاجرز» الى المحكمة شهادة تؤكد
أن «ماجويتش» قد تاب عن الاجرام منذ أن غادر
انجلترا .. وأنه قد أصبح بالفعل شخصا ناجحا
محتزما في «نيو ساوث ويلز» .. ولكن ما فائدة كل

ذلك أمام الحقيقة الدامغة ... وهي أن على «ماجويتش» أن يواجه عقوبة الإعدام شنقا إذا عاد إلى إنجلترا؟!
ولأن الجروح التي لحقت «ماجويتش» كانت بالغة وخطيرة ... خصوصا بعد تلوثها بماء النهر ، فقد ساءت صحته وتدهورت قواه ... ومع ذلك فلم يكتسب عطف المحلفين الذين لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا أمام صراحة القانون ... لذلك فقد قرروا أنه مذنب ... !

ولم يكن أمام القاضى سوى أن يصدر الحكم بالإعدام ... ولم يكن أمام «ماجويتش» سوى أن يقول للقاضى : سيدى ... ان الأعمار بيد الله ... وليس أمامى سوى أن أخضع لحكمك ... !

وأخذت أصلى وأتمنى من صميم قلبى أن يموت «ماجويتش» قبل أن ينفذوا فيه حكم الإعدام ... كما أخذت أكتب الالتماسات لكل شخص فى السلطة يمكنه أن يقدر الموقف ... وكنت أعزز هذه الالتماسات بزيارات شخصية لهؤلاء المسئولين استعطفهم فيها أن يعيدوا النظر فى تنفيذ هذا الحكم ... وأحكى لهم

قصة شهامة هذا الرجل ومدى حرصه على توبته
وصلحه ..

ونتيجة لبعض الاتصالات ، فقد سمح لي بزيارة
« ماجويتش » كل يوم في مستشفى السجن .. كان
راقدا على سريره بلا حراك .. يتنفس بصعوبة وغير
قادر على الكلام .. ولكنه كان يعبر لي عن فرحته
بزيارتي له بمجرد ضغطة خفيفة ضعيفة من يده على
يدي .. وكانت حالته تتدهور يوما وراء يوم ..

وفي زيارتي العاشرة له .. لاحظت بعض التغير ..
فقد برقت عيناه بمجرد أن رأيته .. وقال هامسا
بصوت خفيض مرتعش : يا بني العزيز .. انك دائما
أول زائر يدخل مستشفى السجن .. قبل كل
الزوار الآخرين ..

قللت له لأطمئنه وأرفع معنوياته : انني أنتظر
إمام البوابة .. لأكون أول من يدخل عندما يسمح
بالدخول .. لا أريد أن أضيع ولو دقيقة واحدة من
الوقت المسموح به ..



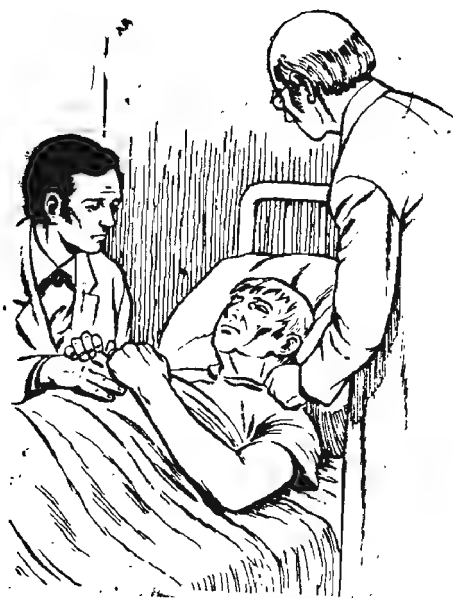
بيب يكتب عرائض طلب الرحمة

فقال هامسا في اذنيها : شكرا لك يا بني
العزیز .. بارک الله فیک .. انک لم تتخل عنی أبدا ..
فضغطت علی یده ولزمت الصمت ، اذ لا یمكن
أن اخبره بأنی کنت قد دبرت خطة الهروب لکی أتخل
عنه بعد ان أوصله إلى مکان آمن ..

وواصل همسه : من أعظم المواقف التي اقدرها
لک .. انک أصبحت أكثر قربا منی بعد أن اکتشفت
جياتی تلك السحابة المظلمة .. مع انک لم تكن قريبا
منی إلى هذا الحد حينما كانت تسطع الشمس .. ان
هذا عندی يساوی کل شیء ..

وهنا بدأ صوته یضعف .. وخارت قواه تماما ..
وعلت الغشاوة والشحوب وجهه وعینیه .. وسحب
یدی بضعف شديد ووضعهما علی صدره تحت یدیه ..
وارتسمت علی شفתיه ابتسامة خافتة ..

ودق جرس السجن معلنا انتهاء الوقت المحدد
للزيارة ، فی نفس الوقت الذی دخل فیهِ طیب
السجن إلى الحجره .. فهز رأس « ماجویتش » ونظر



ماجوتش يعتصر ..

الى فى حزن ٠٠ ووضع يده على كتفى كاشارة منه لى
ابقى فى مقعدى ولا انصرف ٠٠ وفهمت من ذلك ان
« ماجويتش » يحتضر ويعيش لحظاته الأخيرة ٠٠
وعندئذ انحنيت عليه ٠٠ وقلت **هامسا** وانا اغالب
دموعى : يا عزيزى « ماجويتش » ٠٠ أريد ان اخبرك
بسر عظيم قبل ان تغادر هذه الدنيا ٠٠ هل تستطيع
ان تفهمنى ؟ ٠٠ !

فضغط على يدى بضعف ليؤكد لى أنه يستطيع
ان يفهم **فقلت** : هل تذكر ابنتك التى كنت تعتقد انها
قتلت ؟ ٠٠ !

فضغط على يدى مرة أخرى ٠٠ **فواصلت**
الحديث : انها لم تقتل يا « ماجويتش » كما كنت
تعتقد ٠٠ انها تعيش الآن كسيدة محترمة فى هذا
المجتمع ٠٠ انها جميلة جدا بل واكثر النساء جمالا ٠٠
وانا احبها ٠٠ من كل قلبى ٠٠ !

وكانت آخر حركة قام بها « ماجويتش » فى
هذا العالم ٠٠ أن سحب يدى بمنتهى الضعف ٠٠



آخر اعمال ماجوئتش ٠٠ قبله

وقربها من شفتيه .. وقبلها .. ثم أعادها الى مكانها
فوق صدره .. وازدادت الفضاوة على عينيه ..
ومالت رأسه .. ومات « ماجويتش » .. !

لم أخش مشاهدة الموت عن قرب الى هذا
الحد .. بل لعل شعرت بالارتياح والهدوء والسلام ..
ولاحت في ذهني فكرة الندم على أنى لم أكن مخلصا
لِلصداقة الحقيقية التي يكنها لى « جو جاجرى » ..
فلا أقل من أن أكون مخلصا لذكرى « ماجويتش » ..
ولن أنسى الى الأبد مشاعر الحب الصادق وهو يقول
لى : يا بنى العزيز .. !!



بيب يعرض مسكنه للايجار

الفصل الثامن عشر

تغيرات كثيرة ..

أفقت الى نفسى اخيرا واخذت افكر فى احوالى
المالية السيئة ، والتي ازدادت سوءا أكثر من أى وقت
مضى .. فأنا غارق فى ديون باهظة .. وكان على أن
أؤجر شقتى من الباطن لأنها أصبحت غالية التكاليف
بالنسبة لى ، خصوصا بعد أن سافر « هوبرت » الى
القاهرة فى مصر .. ليدير فرع شركة « كلاريكار »
هناك .. وقد وعدنى « هوبرت » قبل سفره بأنه على
استعداد أن يمنحنى وظيفة فى هذا الفرع فى أى وقت
أريد ..



وتجول في الشوارع يانسا

وعلى أية حال فلم استطع اتخاذ أى قرار بشأن مستقبل لأنى سقطت مريضا .. كنت أحس ببوادر المرض وهى تتسلل الى ببطء ، الى ان مات «ماجويتش» .. فعندئذ بدأ المرض يشتد وبدأت صحتى فى الانهيار السريع .. وأصبت بحمى شديدة جعلتنى أرقد على السرير مرتعشا غير قادر على الحركة .. وبين حين وآخر ، كانت تتتابى نوبات من الهذيان فأذهب من مرقدى .. وأغادر البيت متجولا فى الشوارع بلا هدف ولا وعى .. وفى يوم ما ، تنبهت الى وجود شخصين بالقرب منى .. ينظران الى بحزن وأنا راقده على رصيف الشارع بجوار منزلى .. **فقلت لهما بصوت مبجوح : من أنتما .. وماذا تريدان .. ؟** !

فقال أحدهم : لقد جئنا يا سيدي للقبض عليك بسبب عجزك عن الوفاء بالديون .. !
فصدرت منى آهة مؤلمة .. وحاولت القيام ولكنى تهاويت .. **وقلت لهما يائسا : كان بودى أن أذهب معكما .. ولكنى مريض ولا أستطيع ..**



جو یقینی یسب

ابتعد الرجلان عنى قليلا ٠٠ ثم اخذا يتجادلان
معا ٠٠ ثم انصرفا ٠٠ وتحاملت على نفسى وعدت الى
البيت ٠٠ ورقدت على السرير مستسلما للحمو.
وامسأت الكوابيس ٠٠ ومن شدة حالات الهذيان
التي كانت تتابنى ٠٠ كنت اتخيل جميع الناس
الذين عرفتهم وقابلتهم فى حياتى وكانهم جالسون
جوار سريرى ٠٠ واحدا تلو الآخر ٠٠ وعندما كانت
تختفى جميع الوجوه ٠٠ لا يبقى الا وجه واحد دائما
٠٠ وجه « جو » ٠٠

كنت اتخيل انه جالس بجانبى ٠٠ ويسم
ليشجعنى ٠٠ ويمسح وجهى بقطعة من الاسفنج مبللة
بماء بارد ليخفف الحرارة عن راسى ٠٠ واثقت فى
احظة ، فرأيت أمامى نفس الوجه ٠٠ فقلت بضعف :
هل أنت هنا يا « جو » ؟ !

فابتسم بفرح وقال : نعم يا « بيبي » ٠٠
يا صديقى العجوز ٠٠ !
فانخرطت على الفور فى البكاء ٠٠ ليس هذيانا
هذه المرة ، وانما هو بكاء صادق يعبر عن احساسى

بالندم **وقلت في لوعة** : « جو » .. يا صديقي
العظيم .. انا لا أستحق كل هذا العطف منك ..
لقد أغضبتك .. وخنت صداقتنا .. اضربني
يا « جو » .. لأنني أستحق الضرب .. ولا تعطف على
كل هذا العطف .. !

ولكن « جو » كان في غاية السعادة لأنني أفقت
وبدأت استعيد وعيي واستطعت التعرف عليه ..
فركع الى جوار سريري **وقال وعيناه مغروقتان
بالدموع** : أنا وأنت كنا ومازلنا أصدقاء .. يا عزيزي
« بيبي » .. اهدأ يا عزيزي حتى تستعيد صحتك .. !
واخذ « جو » يرعاني ويمرضني لمدة شهر كامل
.. الى ان بدأت استعيد قواي بالتدريج .. وكنت
أتخيل أيام الطفولة في مستنقعات « كنت » وقد عادت
من جديد .. حين كان « جو » يقوم باطعامي ويرعى
شئونى ..

وفي احدى الأمسيات .. حين لاحظ « جو »
أنني أصبحت في طريقى الى شفاء قريب .. أخبرني
بان الأنسة « هافيشام » قد ماتت متأثرة بحرقها ..

وكما هو متوقع فقد ورنث « ستلا » كل أموالها
وممتلكاتها ..

وأخبرت « جو » بالتالى بما جرى فى قصة حياتى
.. وانتهيار آمالى الكبرى .. واكتشافى أن المحسن
الذى تبرع لى بكل أمواله لم يكن الأنسة « هافيشام »
.. وانما هو « آيبل ماجويتش » ..

وهنا قاطعنى « جو » قائلاً : لقد سمعت بعض
الاخبار عن ذلك .. وهذا لا يهمنى بالمرة .. مثل
هذه الأشياء لا أهمية لها بين الأصدقاء الحقيقيين ..
وعلى الفور بهض « جو » ليعد لنا طعام العشاء
.. وليضع حدا لهذا الموضوع ..

وبعد أن اكتمل شغائى .. استيقظت ذات صباح
فلم أجد « جو » .. لقد رحل فى الصباح الباكر ..
وترك رسالة مليئة بالأخطاء، الاملائية كتبها بنفسه
بعد أن علمته « بيدى » القراءة والكتابة ..

كانت رسالة وداع رقيقة .. ومرفق بها إيصال



لقد دفعت الديون ..

يدفع الدين الذى قبض على بسبب عدم الوفاء به فى موعده .. ويدل الايصال على أن « جو » هو الذى قام بتسديد هذا الدين .. والحقيقة انى كنت أظن - بسبب شدة مرضى وغيابى عن الوعي - أن الدائن صاحب الحق فى هذا الدين قد توقف عن اتخاذه الاجراءات القضائية بسبب سوء صحتى .. ولم أكن اتصور أبدا أن « جو » قد دفع هذا الدين من ماله الخاص ..

ارتخيت على المقعد وأنا أمسك بالايصال ورسالة الوداع .. ودارت فى ذهنى ذكريات الماضى البعيد .. السعد .. والهواء النظيف النقى الذى يهب من ناحية النهر والمستنقعات .. ووجه « بيدى » الجميل الصبوح .. « بيدى » التى صادقتها ووثقت فيها منذ أن حلت بيتنا بعد حادث الهجوم على أختى .. وتذكرت كم كنت غيبا وأنانيا حين تناسمت كل تلك الأيام الجميلة الحلوة ..

وبينما كنت غارقا فى فيض الذكريات هكذا .. لاحظت فى ذهنى فكرة هائلة .. لماذا لا أبدا حياء



بيب يقرر الزواج من بیدی

جديدة .. ولماذا لا أتزوج من « بيدى » .. فلا أقدم
إليها لأطلب يدها وأعير لها عن ندمى .. ولا أخبرها
بصدق أنى قد جئت طائما .. وأنى على استعداد
لقبول أى شئ تراه بالنسبة لمستقبلى .. فلو أرادت
أن أعمل مع « جو » فى ورشة الحدادة فلن أمانع ..
وإذا رأت أن أحصل على وظيفة بالقرية أو فى الريف
فسوف أوافق .. وسأخبرها بالعرض الذى قدمه الى
« هيربرت » قبل أن يسافر .. فإذا قبلت أن تصحبنى
لتعيش معى فى مصر ، فإن ذلك سيكون قصة
سعادتى ..

وما أن انقضت ثلاثة أيام ، حتى اخذت عربية
السفر متجها الى « كنت » ..

كنا فى شهر يونيو .. وكان الجو صحوا
والسما زرقاء خالية من السحب .. وتطير العصفير
بفرح فوق سنايل القمح الخضراء ..

وعندما اقتربت من البيت .. لم اسمع دقات
مطرقة « جو » المعهودة .. وعندما اقتربت من الورشة



بيلى وجو فى يوم زفافهما

فوجئت بأنها مغلقة .. فانتابني إحساس عارم من
الخوف ..

أما البيت فلم يكن يبدو مهجورا .. بل رأيت
ستائر نظيفة بيضاء تتطاير من خلال النافذة المفتوحة
بغرفة الجلوس .. وعندما نظرت الى الداخل من خلال
تلك النافذة .. رأيت « بيدى » و « جو » ومسا
يلوحان لى مرحبين بحضورى .. وأقبلا على يماقنا
بسعادة غامرة : « وقالت « بيدى » : هانذا أخيرا
يا « بيب » .. يا أعز صديق .. ليتك قد جئت يوم
زفافي .. كانت حفلة طيبة .. لقد تزوجنا ..
أنا و « جو » .. 11

وهناهما بحرارة وأنا أخفى خيبة أمل ..
وقضيت معها عدة ساعات قبل أن أرحل عائدا الى
لندن ..

وبعت كل ممتلكاتى ، وسويت معظم ديونى ..
وسافرت الى مصر .. وعملت موظفا بفرع شركة
« كلاريكار » معاونا « لهربرت » .. وكان « هربرت »



. بيب يعيش مع عائلة بوكيت في مصر .

قد نزوج « كلارا » فعشت معها فى نفس البيت ..
وبالتدريج ، حققت الكثير من النجاح والتقدم ،
فسددت كل ديونى .. وأصبحت أعيش حياة بهيجة
طيبة معتمدا على نفسى .. وكنت أكتب الرسائل الى
« جو » و « بيدى » بين حين وآخر ..

وبعد عدة سنوات ، أصبحت شريكا كاملا فى
شركة « كلاريكار » ..

ولا يمكننى أن أقول ان شركتنا كانت تعتبر من
الشركات الكبرى .. ولكننا حققنا أرباحا كثيرة ،
وكانت لنا سمعة طيبة ..

وفى يوم ما ، لم يستطع « كلاريكار » أن
يستمر فى الاحتفاظ بالسر الذى بيننا .. فاعترف
« لهربرت » بأنى أنا الذى دفعت حصة اشتراكه فى
رأس مال الشركة .. وأنى أنا الذى أوصيت عليه
ووظفته منذ البداية ..

ومن أجل هذا ازداد حب « هربرت » لى ،
وازداد تقديره لصنيعى الجميل ..



بيب الصغير !

الفصل التاسع عشر

بعد احدى عشرة سنة ٠٠

وبعد احدى عشرة سنة ٠٠ عدت الى انجلترا مرة
اخرى ٠٠

وفى احد ايام ديسمبر ٠٠ بعد حلول الظلام
بنحو ساعة ٠٠ كنت ادخل من خلال باب المطبخ فى
البيت القديم بمستنقعات « كنت » ٠٠

كان « جو » جالسا على مقعده جوار المدفأة ،
يدخن غليونه فى هدوء ٠٠ وعلى نفس الكرسي الذى
كنت اجلس عليه فى طفولتى كان يجلس « بيب »
الصغير ٠٠ |



بيب الصغير يشاهد مقابر الأسيرة

قفز « جو » من مقعده واندفع نحوى يحتضننى
ويقبلنى .. وجاءت « بيدى » فى عجل وأخذت تقبلنى
وتبكي من شدة الفرح بعودتى .. أما « بيبي » الصغير
فقد تراجع وهو يشعر بشئ من الخوف والدهشة ..
ولكن لم تمش سوى أيام قليلة حتى أصبحت
أنا و « بيبي » الصغير أصدقاء أعزاء .. وكنت أصحبه
للترهة حول المستنقعات .. كما زرت معه مقابر
الأمرة .. وتذكرت مشاعرى الخاصة عندما كنت فى
مثل سنه .. أزور هذا المكان فى الماضى ..
وعندما حل موعد رحيلى الى لندن .. لاحظت أن
« بيبي » الصغير أصبح يحببى ويتمسك بى .. تماما
مثلما كنت أحمى وأتمسك بأبيه « جو » فى الماضى ..
وظل « بيبي » الصغير يلوح لى مودعا الى أن غبت عن
نظره ..

ولكن قبل أن أغادر « كنت » عن لى أن أزور
موقع بيت الأنسة « هافيشام » .. كان مجرد أطلال
محترقة .. ولم يبق من البيت شئ سوى الحديقة



مقابلة بالصدفة

انتهى ملاتها الأعشاب .. وبقايا البوابة الحديدية ..
وجلس على كتلة من الحجر .. واستسلمت
لذكريات الماضي البعيد .. ذكريات « ستلا » ..
كنت قد علمت بأنها عاشت حياة شقية غير سعيدة
مع زوجها « بنتلي درامل » .. لدرجة انها هجرته
وكانت تعيش منفصلة عنه .. كما علمت أنه قد لقي
مصرعه في حادثة .. ولكن ذلك كان منذ عامين ..
ولعل « ستلا » قد تزوجت الآن مرة ثانية ..

وظلت الذكريات تطوف بذهنى وأنا اتجول بين
أعشاب الحديدية وبين الأطلال المهجورة التى تهب عليها
لفحات من برد الشتاء ..

وإذا لمحت طيف امرأة كانت تقف وحيدة
متأملة فى ضوء القمر .. فاقتربت منها لأعرف من
هى .. وعندما سمعت وقع خطواتى التفتت نحوى ..
وبالاهول المفاجأة .. !

صحت وأنا اندفع نحوها : « ستلا » .. !

فقالبت بنعومة : « بيب » ! .. هل عرفتني ؟ !



وادرنا ظهروا للذكرى الأنسة هافيشام

لقد ذوى يق شبابها .. ولكنها ما زالت
محتفظة ببهاء وعظمة جمالها .. واختفت نظرة التعالي
من عينيها وحلت محلها نظرات هادئة حزينة .. !
وسألتها : هل تحضرين الى هنا دائما
يا .. ستلا .. ؟

فقالت : لا .. انى أحضر الى هذا المكان لأول
مرة بعد حياة طويلة .. ان هذا المكان هو آخر
ممتلكاتى .. وقد بعته .. وجئت لالقي عليه نظرة
الوداع الأخيرة .. ولكن قل لى .. هل مازلت تعيش
فى الخارج يا « بيب » .. ؟

وأخبرتها بالنجاح الذى حققته .. وبانى أصبحت
شريكة كاملا فى شركة « كلاريكار » .. فبدت سعيدة
لذلك .. **وقالت وهى تبتسم فى رقة :** كنت أفكر
فيك أحيانا .. وجاء وقت كنت ألوم فيه نفسى لأنى
تجاهلت حبك الصادق .. أيام غرورى وجهلى ..
ولكنى الآن احتفظ لك بمكان عزيز فى قلبى ..
فأسكت يدها وقلت : ولكنك كنت دائما فى
أمر مكان بقلبي .. !

